أبو القاسم الشابي

مختارات شعرية

الكتاب: أبو القاسم الشابي .. مختارات شعرية

الكاتب: أبو القاسم الشابي

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣
http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

الشابي ، أبو القاسم
أبو القاسم الشابي .. مختارات شعرية / أبو القاسم الشابي
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٢٢ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولى: ٢ – ١٥٠ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ٥١٨٦ / ٢٠٢١

أبو القاسم الشابي

مختارات شعرية

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

كتب أبو القاسم الشابي في يومياته تلك الفقرة التي دونها يوم الخميس الموافق ١٦-١-١٩٣٠، "ها هنا صبية يلعبون بين الحقول وهناك طائفة من الشباب الزيتوني والمدرسي يرتاضون في الهواء الطلق والسهل الجميل ومن لي بأن أكون مثلهم؟ ولكن أنّى لي ذلك والطبيب يحذر علي ذلك لأن بقلبي ضعفاً! آه يا قلبي! أنت مبعث آلامي ومستودع أحزاني وأنت ظلمة الأسى التي تطغى على حياتي المعنوية والخارجية"..

تكشف هذه الفقرة أن الشابي كان مريضا ضعيف القلب، فقد ولد بعيب خلقي أصاب قلبه، فكان كثير التردد على الأطباء الذين نصحوه جميعًا بعدم بذل مجهود بدني أو فكري عنيف، ولكنه كان من الشعراء الذين تحترق قلوبهم بحثًا عن بيت واحد. فازدادت حالته سوء حتى توفي شابا، لكن موهبته أبقته حيا وبعد أن وارى التراب جسده بسنوات طوال.

والآن فلنستعيد معا عزيزي القارىء سيرة الشاعر الموهوب، فهي المدخل المناسب لعوالمه الشعرية التي تجسدها هذه المختارات .

والده هو الشيخ القاضي مُحَّد الشابي، وكان - بحكم عمله كقاض شرعي وفقيه أزهري - كثير التنقل بين مختلف مدن تونس، لكنه كان حريصًا أشد الحرص على حسن تربية وتعليم أولاده.، وكان ابنه أبوالقاسم يرافقه في رحلات عمله بشتّى المدن التونسيّة وذلك منذ نعومة أظافره مما أتاح له منذ الصغر الدخول في مجال الفكر والعلم والمعرفة. وكان الشيخ مُحَّد الشابي قد تعلم في الأزهر الشريف في مصر، وعندما عاد إلى بلده تونس أصبح قاضيًا، ثم تزوج فوُلِد له أربعة ذكور، هم أبو القاسم ومُحَّد الأمين وعبد الله وعبد الحميد. وكان حريصا على أن يتعلم الأولاد جميعًا خير تعليم، وبرز منهم الشاعر أبو القاسم وشقيقه مُحَّد الأمين الذي تولى منصب وزير التعليم في أولى الحكومات التونسية بعد التحرر من الاحتلال الفرنسي.

ولد أبو القاسم ابن الشيخ القاضي مُحَّد بن الشابي في يوم الأربعاء الموافق للرابع والعشرين من فبراير من العام ١٩٠٩م وذلك في مدينة توزر في تونس. وعاش طفولته متنقلًا مع أبيه وأسرته بين مدن تونس مثل سليانة و قفصة وقابس و جبال تالة و مجاز الباب و رأس الجبل وزغوان، ذلك التنقل سيضفي على شعره مذاقًا خاصًا.

وبعد أن حفظ أبو القاسم القرآن الكريم كاملًا وعرف القراءة

والكتابة والحساب، أرسله والده وهو في الثانية عشرة من عمره إلى العاصمة تونس ليواصل التعلم في جامع الزيتونة، ومنه حصل أبو القاسم على شهادة الثانوية في العام ١٩٢٧، وكانت تلك الشهادة هي أرفع شهادة يمكن الحصول عليها في ذلك الوقت، ولم يكتف بتلك الشهادة الرفيعة التي تمكنه من العمل في قطاعات التدريس والقضاء فواصل رحلة تعليمه حتى حصل على شهادة مدرسة الحقوق العليا التونسية في العام ١٩٣٠.

ولم يشبع التعليم التقليديّ الذي تلقاه في جامع الزيتونة نهمه للمعرفة. فكان كثير الاطلاع في دواوين الشعر العربيّ القديم والحديث. ومن الكتب التي أحبّ قراءتها صُبح الأعشى، نفح الطّيب، كتاب الكامل والعمدة، كتاب الأغاني، فضلا عن ديوان أبي العلاء المعرّي،و ديوان الرّومي وديوان ابن الفارض. كذلك حرص على معرفة الأدب الغربيّ عبر الترجمات وبالتردد على المنتديات الثقافية والمجالس الفكريّة كما المكتبات. وانضم لنادي الصادقيّة الأدبيّ وهناك برزت ملكته في نظم الشعر و الإلقاء والنقد الأدبي ولا سيما في مناداته الملحّة بالتجديد في قوالب ومضامين الشعر العربيّ وذلك غيّر مسيرته الأدبية بجدارة. لم ينجُ موقفه هذا من النقد اللاذع ، فكان هدفا للكثير من المقالات اللاذعة التي لم تمنعه عن مواصلة المسيرة وكتابة قصائد رصينة ذاع صيتها في كل أرجاء الوطن العربي

حتى صار أحد رواد التجديد في الشعر العربي.

التنقل الكثير بين مختلف المدن جعل الشابي يفارق ذكرياته وأصحابه والبيوت التي يقيم بها، كثرة مرات الترحال تتعب نفسية أمثال أبي القاسم، ثم جاءت قراءاته الكثيرة والمتشعبة في كافة أنواع الآداب لتزيد من رهافة حسه وتجعل وقع ما يقرأ شديدًا على نفسه، ثم كان موت والده الشيخ الجليل الحنون في العام ١٩٢٩ طريقًا إلى اليتم الثقيل الذي لم يبرأ الشابي منه، ثم هو قد عرف حب الأنثى مبكرًا جدًا، ولكن حبيبته ماتت في ريعان شبابها فظل طيفها يطارده ليل نهار فأكثر من الكتابة عن حبيبة هي إلى الطيف الملائكي أقرب منها إلى عالم الأنثى الواقعي. وفيها كتب قصيدته الرائعة «صلوات في هيكل الحب» التي اختارها الشاعر فاروق شوشة ضمن "أحلى عشرين قصيدة حب في تاريخ الشعر العربي"، وقد كان قدره أن تموت حبيبته لتكتمل دائرة الحزن التي أججت شاعريته مبكرا، وقد كان الشعر أيضا هو قدر الشابي مثله مثل الحزن وربما بسبب هذا الحزن، لأن حفظه للقرآن الكريم جعله متمكنًا من اللغة، وهذا قاده إلى القراءة المتعمقة في أسرار البيان، وفتح عينيه على آداب الأمم الأخرى، فرغم اعتماده الكامل على الثقافة العربية، إلا أنه كان يقرأ كل ما يصل إلى يديه من ترجمة العرب لآداب الأجانب، ثم كانت هناك المنتديات الأدبية التي كانت منتشرة في تونس العاصمة وكان

أبو القاسم من روادها بل أصبح نجمها البارز.

وفي مصر كانت حركة الشعر الجديد المعروفة باسم «جماعة أبوللو» ورائدها الشاعر أحمد زكي أبو شادي، كانت ترحب بالجديد من الشعر من مختلف البلدان العربية، فعملت على نشر قصائد الشابي في مجلتها، ثم توطدت العلاقة بين الشابي وأبي شادي حتى أن أبا شادى طلب منه أن يكتب مقدمة لديوانه الشعري «الينبوع» وهذا تكريم كبير للشابي.

لكن حالته الصحية كانت تسوء بسرعة وتتدهور، فتنقل أبو القاسم بين مختلف مدن تونس، بل والمغرب العربي بحثًا عن الشفاء من علته، حتى أنه أقام فترة في مدينة قسنطينة الجزائرية، وعاش فترة في مدينة طبرق الليبية، ومع كل تلك المواجع رأى أن يشتبك مع الحياة فكتب قصيدته الخالدة " إرادة حياة" والتي يقول فيها:

إذا الشعب يومًا أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بدَّ لليل أن ينجلي ولا بدّ للقيد أن ينكسرْ
ومن لم يعانقْه شوْقُ الحياة تبخَّرَ في جوِّها واندثرْ

تلك القصيدة كانت العلامة الدالة على شاعرية الشابي، فمن يوم أن قالها وهى تسري بين العرب، فلا تمر ثورة ولا حتى مظاهرة إلا وتحضر تلك القصيدة التي حفرت اسم شاعرها في الوجدان

العربي، والتي أبقت ذكره بعد عقود من رحيل جسده.

ولم يقتصر إسهام الشابي على الشعر السياسي فقط، فقد ساهم في عودة الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي متأثرًا بشعراء الرومانسية الأوروبيين، فالشابي يعد فذًا من أفذاذ عصره في الشعر، سقى الشعر بدمائه قبل أفكاره حتى عُرف شعره في جميع أنحاء الوطن العربي لصقله وعمق تجربته. وهنا نذكر أنه في كتاب "دراسات في الشعر العربي المعاصر" يشير مؤلفه الدكتور شوقي ضيف إلى تباين الأطوار النفسية في كتابات أبو القاسم الشابي الشعرية وهو ما جعله يتجه في قصيدته إلى مناشدة الطبيعة والحلم بحياة شاعرية وسط الجبال والوديان يتأمل فيها الكون ويغني فيها مع البلابل. لكن اتجاه أبو القاسم في شعره نحو الطبيعة كان مرتبطًا بحالته المزاجية؛ فأحيانًا تكون أنغامًا تنشد الجمال وتسبح في بحور الصفاء والنقاء كقوله:

فيك ما في الوجود من نغمٍ حلوٍ　　　وما فيه من ضجيج شديد

وأحيانًا يكون لقاؤه بالطبيعة باعثًا للكآبة والحزن كما في هذا البيت:

فيك يمشي شتاء أيامي الباكي　　　وترغي صواعقي ورعودي

توفيّ الشابي بسبب تضخم في القلب الذي لازمه كما لازمه الصراع ضدّه مدّة ثلاث سنوات، وفي التاسع من شهر أكتوبر من

عام ١٩٣٤ جاءته المنيّة وكان في الخامسة والعشرين من العمر. وكانت وفاته بمسقط رأسه بالعاصمة التونسيّة صدمة لمحبيه وللوسط الأدبي العربي كله.

وعن تلك اللحظة يقول كاتب سيرة حياة الشابي: جاء شتاء أواخر العام ١٩٣٣ وأوائل العالم ١٩٣٤ فساءت حالة الشابي فاضطر إلى ملازمة الفراش مدة، حتى إذا مر الشتاء ببرده وجاء الربيع ذهب الشابي إلى مسقط رأسه مدينة توزر طالباً الراحة والشفاء، ولكن نوبة ألم دفعته للسفر إلى العاصمة تونس ودخول المستشفى، ومرت أيام مرضه صعبة وثقيلة وطويلة ،وعندما جاء فجر اليوم التاسع من شهر أكتوبر من العام ١٩٣٤ لفظ شاعرنا أنفاسه الأخيرة ، وقد ألّف الشابي رغم عمره القصير أعمالاً أدبيّة مهمّة، ومن أشهرها ديوان "أغاني الحياة"، "الخيال الشعري عند العرب"، وكتب العديد من القصائد في شتى المجالات، في الوطن، الحب، الحنين والأسى وفي بعضها تجسد حزنه بشكلٍ واضحٍ عند رحيل محبوبته وكذلك عند وفاةِ والده ومعلمه الأول.

ويقول أيضا :لقد كانت لأبي القاسم الشابي طباع إنسانية غاية في الرقة والوداعة واللطف مثلما كانت له ملكة شاعرية وأدبية غاية في الرهافة والإبداع. ولذا فإن المتصفح لقصائده سيجد فيها روعة المعاني ورقة التصوير وسلاسة الألفاظ وبساطة اللغة وحسن التعبير

عن المقصود على نحو قل أن يجتمع في شعر شاعر أو إبداع مبدع، ولذا جاءت قصائده معبرة عن شخصه الولهان المعاني وعن رغبة شديدة في العيش وعن تشبث متين بالحياة. ونزوع لصف الثورة والتحرر من القيود. كما جاءت مملوءة بصنوف الحكمة والأوصاف البليغة المعبرة عن عبقرية إبداعية نادرة. ولعل القارئ الكريم ممن لم يقرؤوا للشابي لن يأخذ علينا ما أطرينا به هذا الأخير من أوصاف ونعوت.

الناشر

إرادة الحياة

إذا الشــعبُ يومــاً أراد الحيــاة فلابــدَّ أن يســتجيب القــدرْ
ولابــد للّيــل أن ينجلــي ولابــدّ للقيــد أن ينكســر
ومــن لم يعانقــه شــوقُ الحيــاة تبخَّــرَ في جوِّهــا، وانــدثر
فويــل لمــن لم تَشْــقُهُ الحيــاة مــن صــفْعة العــدَم المنتصــر
كــذلك قالــت ليَ الكائنــاتُ وحــدَّثني روحُهــا المســتتر
ودمــدت الــرِّيحُ بــين الفِجــاج وفــوق الجبــال وتحــت الشــجر
"إذا مــا طمحــتُ إلى غايــةٍ ركبــتُ المُــنى، ونسِــيتُ الحــذر"
"ولم أتجنَّــب وعــورَ الشِّــعاب ولا كُبَّــةَ الَّلهَــب المســتعر"
"ومــن لا يحــبُّ صــعودَ الجبــال يعــشْ أَبــدَ الــدهر بــين الحُفَــر"
فعجَّــتْ بقلــبي دمــاءُ الشــباب وضــجَّت بصــدرِي رياحٌ أَخــر ...
وأطرقــتُ، أصغي لقصف الرعود وعــزف الــرياح، ووقــع المطــر
وقالــت ليَ الأرض – لمـا سألت : "أيا أمَّ هــل تكــرهين البشــر؟" :

"أبارك في الناس أهلَ الطموح ... ومن يستلذُّ ركوبَ الخطر"

"وألعنُ من لا يماشي الزمانَ، ... ويقنع بالعيْش عيشَ الحجَر"

"هو الكون حيٌّ، يحبُّ الحياة ... ويحتقر الَميْتَ مهما كبرُ"

"فلا الأفْقِ يحضُن ميْتَ الطيورِ، ... ولا النحلُ يلثِم ميْتَ الزهر"

"ولولا أُمومةُ قلبِي الرَّؤومُ لَمَا ... ضمّتْ الميْت تلك الحُفَر"

"فويلٌ لمن لم تشُقه الحياة، ... مِنْ لعنة العدمِ المنتصر!"

وفي ليلة من ليالي الخريف ... مثقَّلةٍ بالأسى والضجر

سكرت بها من ضياء النجوم ... وغنَّيْتُ للحُزْن حتى سكر

سألتُ الدجى: هل تُعيد الحياةُ ... لما أذبلته ربيعَ العمر؟

فلم تتكّلم شفاه الظلام ... ولم تترنَّمْ عذارى السحَر

وقال لي الغابُ في رقةٍ ... مُحَبَّبَةٍ مثل خفَّق الوتر:

"يجيء الشتاء، شتاء الضباب، ... شتاء الثلوج، شتاء المطر"

"فينطفيُّ السَّحرُ، سحر الغصون، ... وسحرُ الزهور، وسحر الثمر"

"وسحر السماء، الشجيُّ، الوديعُ ... ، وسحرُ المروج، الشهيُّ، العطر"

إلى الشعب

أين يا شعبُ قلبُكَ الخافقُ الحسَّاسُ؟ أيـــن الطمـــوحُ، والأحـــلامُ؟
أين يا شعبُ، روُحك الشاعرُ الفنّانُ؟ أيـــن، الخيـــال والإلهـــامُ؟
أين يا شعب، فنُك الساحرُ الخلاّقُ؟ أيـــن الرســـومُ والأنغـــام؟
إنَّ يمَّ الحيـــاة يـــدوي حوالَيْـــكَ فـــأين المُغـــامِرُ، المقـــدامُ
أيـــن عـــزم الحيـــاة؟ لا شَـــيء إلا الموتُ، والصَّمتُ والأسى، والظلامُ
عُمُـــرٌ مَيِّـــتٌ، وقلـــبٌ خَـــوآءٌ ودمٌ، لا تثـــــــــــيره الألم
وحيـــاةٌ، تنـــامُ في ظلمـــة الـــوادي وتنمـــو مـــن فوقهـــا الأوهـــام
أيُّ عـــيش هـــذا، وأيُّ حيـــاة؟! (رُبَّ عَـيْشٍ أخَـفُّ منـه الحِمَـام)
قد مشتْ حولكَ الفصول وغَنَّتْكَ فلـــم تبـــتهج، ولم نـــترنَّم
ودَوَتْ فوقـك العواصـفُ والأنـواء حـــتى أوْشَـــكْتَ أن تـــتحطّم

وأطافَـتْ بـكَ الوحـوشُ وناشـتك فلـــم تضـــطرب، ولم تتـــألمْ

يا إلهـي! أمـا تحـسُّ؟ أمـا تشـدو؟ أمـا تشـتكي؟ أمـا تـتكلم؟

مَـلّ نهْـرُ الـزَّمنِ أيامَـك المـوتَى وأنقـاضَ عُمْـرِكَ المتهـدَّم

أنـتَ لا مَيِّـت فيبلَـى، ولا حـيٌّ ليمشـي، بـل كـائنٌ، لـيس يُفهَـم

أبـدا يرمـق الفـراغَ بطـرفٍ جامـدٍ، لا يـرى العـوالِمَ، مُظْلِـمْ

أي سِحْرٌ دهاكَ، هل أنتَ مسحورٌ شـقيٌّ؟ أو مـاردٌ، يـتهكَّمْ؟

آه! بـل أنـت في الشـعوب عجـوزٌ، فيلسـوفٌ، محُطَّـمُ في إهابـه

ماتَ شوقُ الشباب في قلبه الذاوي، وعـزمُ الحيـاة في أعصـابهْ

فمضـى ينشـد السـلامَ ..، بعيـداً .. في "قبـور الزمـان" خلـفَ هضـابه

وهناكَ اصطفى البقاء مع الأموات، في "قـبر أمسـه" غـيرَ آبِـهْ ...

وارتضـى القـبرَ مسـكناً، تتلاشـى فيـه أيامُ عُمْـرِه المُتشـابِه

وتناسـى الحيـاةَ، الـزَّمَنَ الـدَّاوي ومـا كـان مـن قـديم رِغابِـه

فـألزَمِ القـبرَ ... فهـو بيـتٌ، شـبيهٌ بـكَ في صـمت قلبـهِ، وخرابِـه

واعْبد "الأمس" واذكُرِ صُوَرَ الماضي فـدُنْيَا العجـوز ذِكـرى شـبابِهْ ...

وإذا مَـــرَّت الحيـــاةُ حوالَيْـــك جمـــيلاً، كـــالزهر غضـــاً صِـــباها

تتغـــنّى الحيـــاة بالشـــوق والعـــزم فيُحُـــيِي قلـــبَ الجمـــاد غِناهـــا

والربيـــعُ الجميـــلُ يـــرقص فـــوق الـورد، والعشـب، مُنْشِـداً، تيَّاهـا

ومشـــى النـــاسُ خلفهـــا، يَتمَلّــوْن جمـــالَ الوجـــود في مَرْآهـــا

فاحْذَرْ السَّحْرَ أيها الناسكُ القِدّيسُ إنَّ الحيـــاةُ يُغْـــوي بَماهـــا

والربيـعُ الفَنَّـانُ شـاعِرها المفتـونُ يُغْـــرى بحبهـــا وهواهـــا

وتَمَـلَّ الجمـالَ في رِمَـم المـوتى ..! بعيـــداً عـــن ســـحرها وصـــداها

وتَغَـــزَّل بســـحر أيامِـــك الأولى وخَـــلَّ الحيـــاةَ تخطـــو خطاهـــا

وإذا هبَّـت الطيـورُ مـع الفجـر، تُغَّـــني بـــين المـــروجِ الجميلـــةْ

وتُحَيِّـــي الحيـــاةَ، والعَـــالَمَ الحـــيَّ، بصـــوتِ المحبّـــةِ المعســـولة

والفراش الجميلُ رَفْرفَ في الروض، ينـــاجي زهـــوره المطلولـــه

وأفـاق الوجـودُ لِلْعمـل المُجْـدي وللسّـــعي، والمعـــاني الجليلـــة

ومشى الناس في الشَّعاب، في الغاب، وفـــوق المســـالكَ المجهولـــةْ

ينشـدون الجمـالَ، والنُّـورَ، والأفـراحَ والمجـــدَ، والحيـــاةَ النبيلـــةْ

فاغضض الطرفَ في الظلام! وحاذِرْ فِتْنه النُّورِ .! فهْيَ رؤْيَا مَهولـهْ ...

وصــباحُ الحيــاةِ لا يُــوقِظُ المَــوْتَى ولا يـــرحمُ الجفـــونَ الكلْيلـــةْ

كــلُّ شــيء يُعــاطِف العــالَمَ الحــيَّ، ويُــــذكِي حياتــــه، ويفيــــدُهُ

والذي لا يُجاوِب الكونَ بالإحساس عِــبءٌ علــى الوجــود، وُجــودُهْ

كــلُ شــيء يســايرُ الـزمنَ الماشــي بعـــزمٍ حـــتى الـــترابُ ودودهُ

كل شيء – إلاّكَ – حيٌّ، عطوفٌ يُــؤنِسُ الكــونَ شَــوقْهُ، ونَشــيدهُ

فلمـاذا تعـيش في الكـون يا صـاحِ! ومــا فيــكَ مــن جــنَ يســتفيدهُ

لســـتَ يا شـــيخ للحيـــاةِ بأَهْـــلٍ أنــــت داءٌ يُبِيــــدُها وتُبيــــدُهْ

أنـــت قَفْـــرٌ جهنَّمـــيٌّ لَعـــيِنٌ، مُظلــمٌ، قاحــلٌ، مُريــع جمــودُهْ

لا تُــرِفُّ الحيــاة فيــه، فــلا طــيرٌ يُغــــنِّي، ولا ســــحابُ يَجُــــودُهْ

أنـــتَ يا كـــاهن الظـــلامِ حيـــاةٌ تعبـد المـوتَ ..! أنـت روحٌ شـقيٌّ

كـافرٌ بالحيـاةِ والنُّـورِ ..، لا يُصـغي إلى الكـــون قلبُـــهُ الحَجَـــريُّ

أنت قلـبٌ، ولا شـوقَ فيـه ولا عـزمَ وهـــذا داءُ الحيـــاة الـــدَّوِيُّ

أنــتَ دنيــا، يُظِلُّهــا أفــقُ الماضــي وليـــلُ الكآبـــةِ الأبـــديُّ

مــات فيهــا الزمــانُ، والكــونُ إلا أمسُـها الغـابرُ، القـديمُ، القَصِـيُّ

والشــقيُّ الشـقيُّ في الأرض قلــبٌ يَومُـــهُ مَيِّـــتٌ، وماضـــيه حـــيُّ

أنــتَ لا شــيء في الوجـود، فغـادِرْهُ إلى المــوت فَهْــوَ عنــك غَــنِيُّ

الناس

ما قدَّس المثَلَ الأعلى وجمَّلَه　　في أعيُنِ الناس إلاّ أنه حلم!
ولو مشى فيهم حيًّا لحطَّمه　　قومٌ، وقالوا بخبث: "إنه صنَمْ"!
لا يعبد الناسُ إلا كلَّ منعدمٍ　　مُمنَّعٍ، ولِمَنْ حابَاهُمُ العدم!
حتى العباقرةُ الأفذاذ، حبّهم　　يلقى الشقاءَ وتَلقَى مجدَها الرَّمَمُ!
الناس لا ينصفون الحي بينهمُ　　حتَّى إذا ما توارى عنهمُ ندموا!
الويل للناس من أهوائهم! أَبداً　　يمشي الزمانُ وريح الشر تحتدم

نشيد الجبار

أو هكذا غنى بروميثيوش

سأعيش رغمَ الداءُ والأعداءُ ... كالنَّسر فوق القِمَّةِ الشماء
أرنو إلى الشمس المضيئة، هازئاً ... بالسُّحْب، والأمطارِ، الأنواء ..
لا أمرقُ الظلَّ الكئيبَ، ولا أرى ... ما في قرار الهُوَّة السوداء ...
وأسيرُ في دنيا المشاعر، حالماً، ... غرِداً – وتلك سعادة الشعراء –
أصغِي لموسيقى الحياة، ووحيِها ... وأذيب روحَ الكون في إنشائي
وأُصيخُ الصوت الإلهيَّ، الذي ... يُحيى بقلبي ميّتَ الأصداء
وأقول للقدر الذي لا ينثني ... عن حرب آمالي بكل بلاك:
"لا يطفئ اللهبَ المؤجَّج في دمي ... موجُ الأسى، وعواصف الأرزاء"
"فاهدم فؤادي ما استطعتَ، فإنه ... سيكون مثل الصخرة الصماء"
"لا يعرف الشكوى الذليلةَ والبكاء ... وضَراعَة الأطفال والضعفاء"

"ويعـيش جبَّـاراً، يُحـدِّق دائمـاً   بالفجر ..، بالفجر الجميل، النائي"

"واملأ طريقي بالمخاوفِ، والدجى،   وزوابـعِ الأشـواك، والحصـباء"

"وانشر عليه الرُّعبَ، وانثر فوقه   رُجـمَ الـرّدى، وصـواعق البأسـاء"

"سأظل أمشي رغم ذلك، عازفاً   قيثـارتي، مترنمـاً بغنـائي"

"أمشـي بـروح حـالمٍ، مُتَـوَهَّجٍ   في ظلمـة الآلام والأدواء"

"النـور. في قلـبي وبـين جـوانحي   فعلام أخشى السير في الظلماء!"

"إني أنا النـايُ الـذي لا تنتهـي   أنغامـه، مـادام في الأحيـاء"

"وأنا الخضمُ الرحبْ، ليس تزيده   إلا حيـاةً سـطوةُ الأنـواء"

"أمَّا إذا خمدت حياتي، وانقضى   عُمـري، وأخرسـت المنيَّـة نائـي"

"وخبا لهيبُ الكون في قلبي الذي   قـد عـاش مثـلَ الشـعلة الحمـراء"

"فـأنا السـعيد بأنـني مُتَحَـوِّلٌ   عـن عـالمِ الآثام، والبغضـاء"

"لأذوبَ في فجـر السـرمديْ   وأرتـوي مـن مَنْهَـلِ الأضـواء"

وأقـول للجمـع الـذين تجشـموا   هـدمي وودوا لـو يُخَـرُّ بنـائي

ورأُوا علـى الأشـواك ظلَّـي هامِـداً فتخيْلُـــوا أنيَّ قضــــيتُ ذَمـــائي

وغـدوْا يَشُـبُّونَ اللهيـبَ بكـلِّ مـا وجـدوا ..، ليشـوُوا فوقـه أشـلائي

ومضّـوْا يمـدون الخـوان، ليـأكلوا لحمـــي، ويرتشـــفوا عليـــه دمـــائي

إني أقـول لهـم – ووجهـي مشـرقٌ وعلـى شـفاهي بسـمة اسـتهزاء –:

"إن المعامـــل لا تهـــد منـــاكبي والنـــار لا تأتي علـــى أعضـــائي"

"فارموا إلى النار الحشائش، والعبوا يا معشـــر الأطفـــال تحـــت سمـــائي"

"وإذا تمـرَّدت العواصـف، وانتشـي بالهـــول قلـــب القبـــة الزرقـــاء"

"ورأيتمـــــوني طـــــائراً، مترنمِّـــــاً فـــوق الزوابـــع، في الفضـــاء النـــائي"

"فارموا على ظلي الحجارة، واختفوا خـوْفَ الـرياحِ الهُـوجِ والأنـواء .."

"وهناك، في أمْنِ البيوت، تطارحوا غَـــثّ الحـــديث، وميِّـــتَ الآراء"

"وترنمَّـوا – مـا شـئتمُ – بشـتائمي وتجـاهروا – مـا شـئتمُ – بِعـدائي"

"أمـا أنا فـأجيبكم مـن فـوقكم والشـمسُ والشـفقُ الجميـل إزائـي:"

"مـن جـاش بالـوحي المقـدَّس قلبـهُ لم يحتفِـــلْ بحجـــارة الفلتـــاء"

زوبعة في ظلام

لــو كانــت الأيام في قبضــتي   أذريتهــا للــريح، مثــل الرمــال

وقلــت "ياريــح، بهــا فــاذهبي   وبـــدَّديها في ســـحيق الجبـــال"

"بــل في فجــاج المــوت .. في   لا يــرقص النــور بــه والظَّــلال .."

لو كان هذا الكون في قبضتي   ألقيتـــهُ في النـــار، نار الجحـــيمْ

مـا هـذه الـدنيا، وهـذا الـورى   وذلـك الأفـق، وتلـك النجـوم؟!

النـــار أولى بعبيـــد الأســـى،   ومســرح المــوت، وعُــشَّ الهمــوم

يا أيها الماضي الذي قد قضى   وضـــمَّهُ المــوتُ، وليــلُ الأبــدْ!

يا حاضر الناس الذي لم يَزل!   يا أيهـــا الآتي الـــذي لم يلـــد!

ســـخافة دنيـــاكم هـــذه   تائهـــةٌ في ظلمـــة لا تُحـــدَ ..!

شكوى ضائعة

يا ليل! ما تصنع النفسُ التي سكنت هـذا الوجـودَ، ومِـنْ أعـدائها القـدر؟
ترضى وتسكت؟ هذا غير محتمل! إذاً، فهـل تـرفض الـدنيا، وتنتحـر؟
وذا جنـونٌ لَعَمْـري، كلُّـه جَـزَعٌ باكٍ، ورأىٌ مـريضٌ، لُـه خَـورَ؟
فإنما المـوت ضـربٌ مـن حبائلـه لا يُفلت الخَلقُ ما عاشوا، فما النظر!
هـذا هـو اللغْـزُ، عَمَّـاهُ وعَقَّـدَهُ علـى الخليقـة، وحـشٌ، فاتـك حـذِر
قـد كَبَّـلَ القـدرُ الضـاري فرائسَـه فمـا اسـتطاعوا لـه دفعـاً، ولا حَـزروا
وخَـاطَ أعيـنَهم، كـي لا تشـاهده عـينٌ، فـتعلم مـا يأتي ومـا يـذر
وحـاطهم بفنـونٍ مـن حبائلـه فمـا لهـم أبـداً مـن بطشـه وزَر
لا الموت يُنقذهم من هول صولته ولا الحيـاةُ. تَسَـاوي النـاسُ والحجـر!
حَارَ المساكينُ، وارتاعوا، وأعجزَهَم أن يحـذروه، وهـل يُجـديهم الحـذر

وهم يعيشون في دنيا مشَّيدةٍ   من الخطوب، وكونٍ كله خطر؟
وكيف يحذر أعمَى، مُدْلِجٌ، تَعِبٌ،   هولَ الظلام، ولا عزمٌ ولا بَصَرُ؟
قد أيقنوا أنه لا شيء يُنقذهم   فاستسلموا لسكون الرعب، وانتظروا
ولو رأوه لسارت كي تحاربه   من الورى زُمَرٌ، في إثرها زمر
وثارت الجنّ، والأملاك ناقمةً   والبحرُ، والبرُّ، والأفلاكُ، والعُصرُ
لكنه قوْةٌ تُملي إرادتها   سراً، فَعْنُوا لها قهراً، ونأتمر
حقيقة مُرَّةٌ، يا ليل، مُبغْضَةٌ   كالموت، لكن إليها الوردُ الصَّدَرُ
تَنَهَّدَ الليلُ، حتى قلت: "قد نُثِرتْ   تلك النجومُ، ومات الجنُّ والبشر"
وعاد للصّمت .." يُصغي في كآبته   – كالفيلسوف – إلى الدنيا، ويفتكر"
وقَهْقَه القدرُ الجبَّارُ، سخريةً   بالكائنات، تَضَاحَك أيُّها القدر!
تمشي إلى العدمَ المحتوم، باكيةً   طوائفُ الخلق والأشكالُ والصور
وأنت فوقَ الأسى والموتِ، مبتسمٌ   ترنو إلى الكون، يُبْنَى، ثمَّ يندثر

الجنة الضائعة

كَمْ من عُهودٍ عذبةٍ في عَدْوَةِ الوادي النضيرْ

فِضَّــيةِ الأســحار مُذْهَّبَــةِ الأصــائل والبكــور

كانـت أرقَّ مـن الزهـور، ومـن أغاريـد الطيـور

وألـذّ مـن سـحر الصبَّا في بَسْـمَةَ الطفـل الغريـر

قضــيتها ومعــي الحبيبــةُ لا رقيــب ولا نــذير

إلا الطفولـة حولنـا تلهـو مـع الحُـبَّ الصـغَّير

أيام كانــت للحيــاة حــلاوة الــروض المطــير

وطهـارةُ المـوج الجميـل، وسِـحْرُ شـاطئه المنـير

ووداعـة العصـفور، بـين جـداول المـاء النمـير

أيامَ لم تعـرف مـن الـدُّنيا سـوى مَـرَحِ السُّـرور

وتَتبُّع النَّحْل الأنيقِ وقَطْفِ تيجان الزهور
وتسلُّق الجبلِ المكلل بالصَّنَوْبَر والصخور
وبناء أكواخِ الطفولة تحت أعشاش الطيور
مسقوفةً بالورد، والأعشاب، والورق النضير
نبني، فتهدمها الرياحُ، فلا تضجُّ ولا تثور
ونعود نضحك للمروج، وللزنّابقِ، والغدير
ونُخَاطب الأصداء، وهي تَرِفُّ في الوادي المنير
ونعيد أغنية السواقي، هي تلغو بالخرير
ونَظَلُّ نركض خلف أسراب الفَراش المستطير
ونمرُّ ما بين المروجِ الخضر، في سكر الشعور
نشدو، ونرقصُ – كالبلابلِ – للحياة، وللحبور
ونظل ننشرُ للفضاء الرَّحبِ، والنهرِ الكبير
ما في فؤادَيْنا من الأحلام، أو حُلوِ الغرور

ونَشِيدُ في الأُفق المخضَّب من أمانينا قصور
أزهى من الشفَقِ الجميل، ورونْقِ المَرج الخضير
وأجلَّ من هذا الوجود، وكلَّ أمجاد الدهور
أبداً، تُدَّلُلنا الحياةُ بكلَّ أنواع السرور
وثبثُّ فينا من مراح الكون ما يُغوي الوقور
فنسيرُ، نَنْشدُ لهونَا المعبودَ – في كل الأمور
ونظل نعبث بالجليل من الوجود، وبالحقير:
بالسائل الأعمى وبالمعتوه، والشيخ الكبير
بالقطة البيضاءِ، بالشاة الوديعة، بالحمير
بالعشب، بالفنن المنوَّر، بالسنابل، بالسفير
بالرمْلِ، بالصخر المحطَّم بالجداول، بالغدير
واللهوُ، والعَبثُ البريءُ، الحلوُ، مطمحُنا الأخير
ونظل نقفز، أو نُثَرْثِرُ، أو نغني، أو ندور

لا نسأم اللهوَ الجميلَ، وليس يدركنا الفتور
فكأننا نحيا بأعصاب من المرَح المُثير
وكأننا نمشي بأقدام مجنْحة، تطير
أيام كنا لُبْ هذا الكون، والباقي قشور
أيام تفرشُ سُبْلَنا الدنيا بأوراق الزهور
وتمرُّ أيام الحياة بنا، كأسراب الطُّيور
بيضاء لاعبةً، مُغرَّدةً مُجنَّحةً بنور
وتُرَفْرف الأفراحُ فوق رؤوسنا أنّى نسير
آه! تواري فَجْرِيَ القُدسيُ في ليل الدهور
وفنِيَ، كما يفنَى النشيدُ الحلوُ في صمت الأثير
أوَاهُ، قد ضاعت على سعادةِ القلب الغرير
وبقيتُ في وادي الزمان الجَهْمِ أدأبُ من المسير
وأدوسُ أشواك الحياة بقلبيَ الدامي الكسير

وأرى الأباطيــل الكثــيرة، والمــآتم، والشــرور
وتصــادُمَ الأهــواء بالأهــواء في كــل الأمــور
ومَذَّلَـة الحـقَّ الضـعيف ، وعـزَّة الظلـم القـدير!
وأرى ابـنَ آدَمَ سـائراً في رْحلَـةِ العُمـرُ القصـير
مـا بـينَ أهـوال الوجـودِ، وتَحـتَ أعبـاء الضـمَّير
متسـلَّقاً جَبَـلَ الحيـاةِ الـوْعرَ، كالشـيَّخ الضـرَّير
دامـي الأكـفَّ، مُمَـزّقَ الأقـدَامِ، مُغـبرّ الشـعور
مُـترنح الخطـواتِ مـا بـين المزالـق والصـخُّور
هالتْـهُ أشْـباحُ الظـلامِ، وراعُـه صـوت القبـور
ودويُّ أعصار الأسى، والموت، في تلك الوعورْ
مـاذا جنْيـت مـن الحيـاة ومـن تجاريـب الـدُّهور
غـيرَ الندامـةِ والأسـى واليـأسِ والـدمعِ الغزيـر؟
هـذا حصـادي من حقـول العالَمِ الرَّحْبِ الخطير

هـذا حصـادي كلُّـهُ، في يقظـةِ العهـدِ الأخـير

قد كنتُ في زمنِ الطفولةِ، والسذاجةِ، والطهور

أحيـا كمـا تحيـا البلابـلُ، والجـداولُ، الزُّهـور

لا نحفـل، الـدنيا تـدور بأهلهـا، أو لا تـدور

واليومَ أحيا مُرْهَقَ الأعصاب، مشبوبَ الشعور

مُتـأَجِّجَ الإحسـاسِ، أحفـلُ بالعظـيم، وبالحقـير

تمشي على قلبي الحياةُ، ويزحَفُ الكونُ الكبير

هذا مصيري، يا بني الدنيا، فما أشقى المصير!

فلسفة الثعبان المقدس

فلسفة الثعبان المقدس هي فلسفة القوة المثقفة في كل مكان، وكما تحدث الثعبان في القطعة التالية إلى الشحرور بلغة الفلسفة المتصوفة حينما حاول أن يزين له الهلاك الذي أوقعه فيه، فسماه "تضحية" وجعله السبيل الوحيد للخلود المقدس ... كذلك تتحدث اليوم سياسة الغرب إلى الشعوب الضعيفة بلغة الشعر والأحلام حيثما تحاول أن تسوغ طريقتها في ابتلاعها والعمل لقتل ميزاتها القومية فتسميها: "سياسة الإدماج" وتتكلم عنها كالسبيل الوحيد الذي لا معدى عنه لهاته الشعوب إذا أرادت نيل حقوقها في هذا العالم، وبلوغ الكمال الإنساني المنشود، ولكن الفناء حقيقة شنيعة. مبغضة، لا ينقص من فظاعتها وكرهها كل ما في التصوف والفلسفة والشعر من خيال وأحلام"[1].

كان الربيعُ الحيُّ روحاً، حالماً غضَّ الشباب، معطَّر الجلباب

يمشي على الدنيا، بفكر شاعرٍ ويطوفها، في موكبٍ خلَّاب

([1]) من الطبعة التونسية ١٩٩٧.

والأفْــقُ يمـــلأ الحنـــانُ، كأَنّـــه قلـــبُ الوجـــود المنـــتجِ الوهَـــاب

والكـون مـن طُهْـرِ الحيـاة كأنمـا هـوَ معبـدٌ، والغـابُ كـالمحراب

والشاعرُ الشحرورُ يرقص، منشداً للشـمس، فـوقَ الـوردِ والأعشـاب

شـعْرَ السـعادة والسلام ، ونفسهُ سَــكْرَى بسِــحْر العــالَمِ الخــلَّاب

ورآه ثعبـــانُ الجبـــال، فغمَّـــه مـا فيـه مـن مَـرَحٍ، وفَـيْض شـباب

وانقــضَّ، مضْــطَغِناً، كأنَّـــه ســـوطُ القضـــاء، ولعنـــةُ الأرباب

بُغتَ الشقيُّ، فصاح في هول القضا متلفَّتـــاً للصـــائل المنْتَـــابِ

وتَـدَفَّقَ المسـكينُ يصـرخ ثائـراً: "مــاذا جنيــتُ أنا فحــق عقــابي!"

"لا شـــيء، إلا أنـــني متغـــزلٌ بالكائنـــات، مغـــردٌ في غـــابي"

"ألقـى مـن الـدنيا حنـاناً طـاهراً وأبُثّهـــا نجـــوى المحـــبَّ الصـــابي"

"أيُعَـد هـذا في الوجـود جريمـةً؟! أيـــن العدالـــةُ يا رفـــاقَ شـــبابي؟"

"لا (أين؟)، فالشرعُ المقدَّسُ هاهنا رَأيُ القـــويَّ وفكـــرةُ الغـــلَّاب!"

"وسعادةُ الضعفاء جُـرْمٌ ..، مالـه عنـد القـويَّ سـوى أشـدَّ عقـاب!"

"ولتشـــهد الـــدنيا الـــتي غَنَّيْتُهَـــا حلــمَ الشــباب وروعــةَ الإعجــاب"

"إن الســـلامَ حقيقـــةٌ، مكذوبـــةٌ والعــدل فلســفةُ اللهيــب الخــابي"

"لا عـدلَ، إلا أن تعادلـت القُـوَى وتَصَـــادَمَ الإرهـــابُ بالإرهـــاب"

فتَبَسْــمَ الثعبـــانُ بســـمةَ هـــازئ وأجــاب في سَمْــتٍ، وفَــرْطٍ كِــذَابِ:

"يا أيهـــا الغِـــرُّ المثرثـــر، إنـــني أرثـــى لثـــورة جهلـــك الـــثلَّاب"

"والغَــرُّ يعــذره الحكــيمُ إذا طغــى جهـــلُ الصَّـــبا في قلبـــه الـــوثَّاب"

"فــاكبحْ عواطفَــكَ الجــوامحَ، إنَّهــا شــردتْ بُلبَّــكَ، واســتمعْ لخطــابِي"

"إني إلـــهٌ، طالَمَـــا عَبَـــدَ الـــورى ظلَّـــي، وخـــافوا لعنـــتَي وعقـــابي"

"وتقـــدَّموا لي بالضـــحايا مـــنهمُ فَـــرِحين، شـــأنَ العابـــد الأواب"

"وســـعادةُ الـــنفسِ التقيَّـــة أنَّهـــا يومـــاً تكـــون ضـــحيَّة الأرباب"

"فتصــير في روُحِ الألوهــةِ بضــعة، قُدُسِــيَّةَ، خلصــتْ مــن الأوشــاب"

"أفــلا يســرُّكَ أنْ تكــون ضــحيَّتي فتحـــلُ في لحمـــي وفي أعصـــابي"

"وتكــونَ عزمــاً في دمــي، وتوهُّجــاً في ناظـــــريَّ، وحِـــــدَّة في نابي"

"وتـذوبَ في روُحـي الـتي لا تنتهـي　　وتصـيرَ بَعـضَ ألـوهتي وشـبابي ..؟"

"إني أردتُ لـــك الخلـــودَ مؤلهـــاً　　في روحـي البـاقي علـى الأحقـاب .."

فكَّـــرْ، لتـــدركَ مـــا أريـــدُ، وإنّـــه　　أسمـى مـن العـيش القصـير النـابي"

"فأجابه الشحرورُ، في غُصَص الردَّى　　والمــوتُ يخنقــه: "إليــك جــوابي:"

"لا رأىَ للحقَّ الضعيف ولا صدى،　　والـــرَّأىُ، رأي القـــاهرِ الغـــلاب"

"فافعـل مشـيئتكَ الـتي قـد شـئتها　　وارحـم جلاَلـك مـن سمـاع خطـابي"

وكـــذاك تتخـــذ المظـــالمُ منطقـــاً　　عـــذباً لتخفـــي سَـــوْءَة الآراب

أيها الليل

أيها الليل!، يا أبا البؤس والأَهَوَا ... لِ،! يا هيكل الحياة الرهيب!
فيك تجثو عرائس الأمل العذَ ... ب، تُصلَّي بصوتها المحبوب
فيُثير النشيدُ ذكرى حياة ... حجبتها غيوم دهر كئيب
وترف الشجون من حول قلبي ... بسكون، وهيبة، وقطوب
أنت يا ليل! ذرَّةٌ، صعدت للكو ... ن، من موطئ الجحيم الغضوب
أيها الليل! أنت نغْم شجيٌّ ... في شفاه الدهور، بين النحيب
أن أنشودة السكون، التي ترتج، ... في صدرك الركود، الرحيب
تْسمع النفسَ، في هدوء الأماني ... رنةَ الحق، والجمال الخَلُوب
فتصوغ القلوبُ، منها أغاريداً، ... تهز الحياة هز الخطوب
تتلوَّى الحياة، من ألم ... البؤس، فتبكي، بلوعة ونحيب

وعلـى مِسـمعيك، تنهـل نوحـاً وعـويلاً مُـراً، شـجون القلـوب

فـأرى برقعـاً شـفيفاً، مـن الأو جـاع، يُلقـي عليـكَ شـجَو الكئيـب

وأرى في السـكون أجنحـة الجـ ـبار، مخضـلةً بـدمع القلـوب

فلـك الله! مـن فـؤاد رحـيم ولـك الله! مـن فـؤاد كئيـب

يهجـع الكـون، في طمأنينـة العصـ ـفور، طفـلاً بصـدركَ الغريـب

وبأحضـانك الرحيمـة يستيقظ، في نضـرة الضـحوك، الطـروب

شـادياً، كـالطيور بالأمـل العـذب، جمـيلاً، كبهجـة الشـؤبوب

يا ظـلام الحيـاة! يا روعـةَ الحـزن! ويا معـزفَ التعـيس الغريـب

إن في قلبـكَ الكئيـبِ، لمـرتادا لأحـلام كـل قلـب كئيـب

وبقيثـارة السـكينة، في كفَّيْـكَ، تنهـل رنّـةُ المكـروب

فيـك تنمـو زنابـق الحُلـم العـذب، وتـذوي لـدى لهيـب الخطـوب

خلـف أعماقـك الكئيبـة تنسـاب ظِـلال الـدهور، ذاتَ قطـوب

وبفوْديـك، في ضـفائرك السـودِ، تـدبُّ الأيامُ أيَّ دَبِيـبِ

صاحِ! إن الحياة أنشودة الحزن، فرتِّل على الحياة نحيبي

إن كأس الحياة مترعة بالدمع، فاسكب على الصباح حبيبي

إن وادي الظلام يطفح بالهول، فما أبعد ابتسام القلوب!

لا يغُرَنكَّ ابتسام بني الأر ض فخلف الشعاع لذعُ اللهيب

أنت تدري أن الحياة قطو ب وخطوب، فما حياة القطوب؟

إن في غيبة الليالي، تباعاً لخطيب يمرّ إثر خطيب

سَدَّدَتْ في سكينة الكون، الأعـ ـماق، نفسي لحظا بعيدَ الرسوب

نظرةٌ مزقت شغاف الليالي فرأت مهجة الظلام الهيوب

ورأت في صميمها، لوعة الحز ن، وأصغت إلى صُرَاخ القلوب

لا تحاول أن تنكر الشجو، إني قد خبرت الحياة خُبر لبيب

فتبرمت بالسكينة والضجـ ـة، بل قد كرهتُ فيها نصيبي ..

كن كما شاءت السماء كئيباً أيُّ شيء يسر نفس الأريب؟

أنفوسٌ تموت، شاخصةً بالهول، في ظلمة القنوط العصيب؟

أم قلوبٌ محطاتٌ على ساحل لـ ـــجِّ الأســـى، بمـــوج الخطـــوب؟

إنمـــا النـــاس في الحيـــاة طيـــورٌ قـــد رماهـــا القضـــا بـــواد رهيـــب

يعصـف الهـولُ في جوانبـه السـودِ فيقضـــي علـــى صَـــدَى العنـــدليب

قد سألتُ الحياة عن نغمة الفجر، وعـــن وَجْمـــة المســـاء القْطُـــوب

فسمعتُ الحياة، في هيكل الأحزان، تشـــــدو بلحنهـــــا المحبـــــوب

مـا سـكوتُ السـماء إلا وُجُـومٌ مـا نشـيد الصـباح غـير نحيـب.

لـيس في الـدهر طـائرٌ يتغـنى في ضـــفاف الحيـــاة غـــيرَ كئيـــب

خضَّـب الاكتئـاب أجنحـة الأيا م، بالـــــدمع، وادم الأســــكوب

وعجيـــبٌ أن يفـــرح النـــاس في كهـف الليـالي، يحزنهـا المشـبوب!

كنـت أرنـو إلى الحيـاة بلحـظٍ باســـم، والرجـــاء دون لغـــوب

ذاك عهـد حسـبته بسـمة الـ ـــفجر، ولكنـــه شـــعاع الغـــروب

ذاك عهـــد، كأنّـــهُ رنَّـــة الأفـــرا ح، تنســـاب مـــن فـــم العنـــدليب

خففت – ريثما أصختُ لها بالقلـ ـــب، حينـــا – وبُـــدِّلَتْ بنحيـــب

إن خمــر الحيــاة ورديــة اللــون، ولكنـــــه سِمـــــام القلـــــوب

جرفت من قرارة القلب أحلامي، إلى اللحـــد، جـــائرات الخطـــوب

فتلاشـــت علـــى تخـــوم الليـــالي وتهـــاوت إلى الجحـــيم الغضـــوب

وثـوى في دُجُنَّـة الـنفس، ومـضٌ لم يـــزل بـــين جَيْئَـــةٍ، وذُهـــوب

ذِكـرياتٌ تميس في ظُلمـة الـنفس، ضِـــئالا، كرائعـــات المشـــيب

بالقلـــب تجـــرع اللوعـــة المـــرة مـــن جـــدول الزمـــان الرهيـــب!

مضـت في صـميمه. شُـعلةُ الحـزن، فعَشّـــتْهُ مـــن شـــعاع اللهيـــب.

شكوى اليتيم

على ساحل البحر، أنّ يضج   صراخُ الصباح ونوحَ المسا
تنهَّدتُ، من مهجةٍ أُترعت   بدمع الشقاء وشوك الأسى
فضاع التنهّد في الضجّةِ
بما في ثناياه من لوعة
فسرتُ وناديتُ: "يا أمُّ! هيا
إليّ! فقد سئمتني الحياة
وجئت إلى الغاب، أسكبُ   أوجاعَ قلبي نحيباً، كلفح اللَّهيبْ
نحيباً تَدافع في مهجتي،   وسال يرنّ بِنَدْبِ القلوب
فلم يفهم الغابُ أشحانَهُ
وظلَّ يُرَدَّد ألحانَهُ

فســـــــرتُ وناذْيـــــــتُ: يا أمُّ هيَّـــــــا

وقمتُ على النَّهر، أهرِق دمعاً   تفجـر مـن فـيضِ حُـزْني الألـيمْ

يســيرُ بصــمتٍ علــى وجنــتيَّ   ويلمــع مثــل دمــوع الجحــيم

فمــــا خفــــف النهــــرُ مــــن عــــدْوِه

ولا ســــكت النهــــرُ عــــن شــــدْوِه

فســــرتُ، وناديــــتُ: ســــا أمّ! هيَّــــا

إلىّ! فقــــد أضــــجرتني الحيــــاة"

ولّمــــا نــــدبتُ ولم ينفــــعِ

وناذْيــــتُ أُمــــي فلــــم تســــمعِ

رجعــــتُ بحــــزني إلى وحــــدتي

وردَّدُتُ نَــــوحِي علــــى مســــمعي

وعانقــــتُ في وحــــدتي لــــوعتي

وقلــــت لنفســــي: "ألا فاســــكتي!"

الزنبقة الذاوية

أزَنبقَــةَ الســفْح؟ مــالي أراكِ   تعانقــكِ اللوعــةُ القاســيةْ؟
أفي قلبكِ الغضَّ صوتُ اللهيب،   يرتَّــلُ أنشــودة الهاويــةْ؟
أأسمعـكِ الليـلُ نـدب القلـوب   أأرشـفكِ الفجـر كـأسَ الأسى؟
أصـبَّ عليـك شـعاعُ الغـروب   نجيـعَ الحيـاة، ودمـعَ المسـا؟
أأوقفـك الـدهرُ حيـث يُفجَّـ   ـرُ نُوحُ الحياةُ صدوعَ الصدورْ؟
ويَنَبَشـقُ الليـل طيفـاً، كئيبـاً   رهيبـاً، ويخفـقُ حـزنُ الـدهورْ؟
إذ أضــجرتكِ أغــاني الظــلامِ   فقــد عــذّبتني أغــاني الوجــومْ
وإن هجرتـكِ بنـاتُ الغيـوم،   فقـد عـانقتني بنـات الجحـيم
وإن سكب الدهر في مسمعيْكِ   نحيـبَ الـدجى، وأنـينَ الأمـلْ

فقـد أجّـج الـدهر في مهجـتي شُـواظاً مـن الحَـزَن المشـتعل

وإن أرشــفتْكِ شــفاهُ الحيــاة رُضــابَ الأســى، ورحيــقَ الألم

فــإني تجرّعــتُ مــن كفهــا كُؤوســاً، مؤجَجَــة، تضــطرم

أصيخي! فما بين أعشار قلبي يـرفّ صـدى نوحـكِ الخافـت

معيـداً علـى مهجـتي بخفيـف جناحيـه صـوتَ الأسى المائـت

وقـد أتـرع الليـلُ بالحب كأسي وشعشــعها بلهيــب الحيــاةْ

وجــــرَّعني مــــن ثُمالاتِــــه مـرارةَ حـزنٍ، تُـذيب الصـفاهْ

إليَّ فقـــد وحـــدت بيننــا قســاوةُ هــذا الزمــان الظلــومْ

فقـد فجّـرت فيَّ هـذي الكلـومَ كما فجّرت فيكِ تلك الكلوم

وأجــرفتني أكــفُّ المنــون إلى اللحْـد أو سـحقتكِ الخطـوب

فحــزني وحزنــكِ لا يبرحــانِ ألِيفْـينِ رغـم الزمـان العصـيب

وتحـتَ رواق الظـلام الكئيـب إذا شمـل الكـونَ روحُ السـحَرْ

سيُسـمَع صـوتٌ كلحـن شـجيٍ تطـايَرَ مـن خَفَقـات الـوتر

يـردِّدُه حُزنُنـا في سـكون على قـبرنا، الصـامتِ المطمـئنْ

فنرقُـد تحـت الـتراب الأصـمِّ جميعـاً علـى نغمـات الحـزَنَ

الحب

الحبُّ شعلة نورٍ ساحرٍ، هبطتْ من السماء، فكانتْ ساطعَ الفلَق

ومزّقت عن جفون الدَّهر أغشيَةً وعن وجوه الليالي برُقَعَ الغسق

الحب روحُ إلهيٌّ، مجنحةٌ أيامُه بيضاء الفجر والشفق

يطوف في هذه الدنيا، فيجعلها نجْماً، جميلاً، ضحوكاً، جدَّ مؤتلق

لولاه ما سُمِعتْ في الكون أغنيةٌ ولا تآلفَ في الدنيا بَنُو أُفقِ

الحبُّ جدولُ خمرٍ، من تذوقَّه خاض الجحيمَ، ولم يشْفِق من الحرق

الحب غاية آمال الحياة، فما خوفِي إذا ضمّني قبري؟ وما فَرَقى؟

أيها الحب

أيهـا الحـب! أنـت سـر بلائـي ... وهمـــومي، وروعـــتي، وعنـــائي
ونحـــولي، وأدمعـــي، وعـــذابي ... وســـقامي، ولـــوعتي، وشـــقائي
أيهـا الحـب! أنـت سرّ وجـودي ... وحيـــاتي، وعـــزتي، وإبائـــي
وشـعاعي مـا بـين ديجـور دهـري ... وأليفـــي، وقُـــرتي، ورجـــائي
يا سـلافَ الفـؤاد! يا سُـم نفسـي ... في حيـاتي يا شـدتي! يا رخـائي!
ألهيـبٌ يثـور في روضـة الـنفس، ... فيطغـى، أم أنـت نـور السـماء؟
أيها الحب قد جرعتُ بك الحُزن ... كؤوسـاً، ومـا اقتنصـتُ ابتغـائي
فبحـق الجمـال، يا أيهـا الحـ ... ـب حنانيْـك بي! وهـوِّن بلائـي
ليت شعري! يا أيها الحب، قل لي: ... مِـنْ ظـلام خلقـتَ، أم مـن ضـياء؟

الدموع

ينقصني العيش بين شوق ويأس　　　والمـــنى بـــين لوعـــة وتأسِّ
هـــذه ســـنَّةُ الحيـــاة، ونفســـي　　　لا تـوَدُّ الرحيـق في كـأس رِجـسٍ
مُلِئ الـدهر بالخداع، فكـم قـد　　　ضــلَّلَ النـاسَ مـن إمـام وَقـسَّ
كلَّمـا أسـألُ الحيـاةَ عـن الحـقَّ　　　تكـفُّ الحيـاةَ عـن كـلَّ همـسِ
لم أجـد في الحيـاة لحنـاً بـديعاً　　　يسـتبيني سـوى سـكينة نفسـي
فســئمت الحيــاةَ، إلاّ غــراراً　　　تتلاشــى بــه أناشــيدُ يأســي
ناولتــني الحيــاة كأســاً دِهاقــاً　　　بالأمــاني، فمـا تناولـتُ كأسـي
وســقتني مــن التعاســة أكــواباً　　　تجرعتهـــا، فيـــا شـــد تعســـي!
إن في روضــة الحيــاة لأشــواكاً　　　بهـــا مُزَّقـــت زنابـــق نفســـي
ضـاع أمْسي وأين منِّيَ أمسي؟　　　وقضى الدهرُ أن أعيش ببأسي؟

وقضى الحب في سكون مريعٍ ساعةَ الموت بين سخط وبؤس

لم تُخَلِّفْ ليَ الحياة من الأمس سوى لوعةٍ، تهبُّ وترسي

تتهادى ما بين غصات قلبي بسكونٍ وبين أوجاع نفسي

كخيال من عالم الموت، ينساب بصمتٍ ما بين رمسٍ ورمْس

تلك أوجاعُ مهجةٍ، عذَّبتْها في جحيم الحياة أطيافُ نحس

جدول الحب

بين الأمس واليوم

بالأمــس قــد كانــت حيــاتي كالســماء الباسمــةْ

واليـومَ، قـد أمسـت كأعمـاق الكهـوف الواجمـةْ

قـد كـان لي مـا بـين أحلامـي الجميلـة جـدولُ

يجــري بــه مــاء المَحَبَّــة طــاهراً، يتسلســلُ

تســعى بــه الأمــواجُ باسمــةً كــأحلام الصَّــبا

بيضــاءَ، ناصــعةً ضــحوكاً مثــل أزهــار الــربى

ميَّاســـةً كعـــرائسِ الفـــردوس بـــين حُقولـــهِ

تتلـــو أناشـــيد المُـــنى في مَـــدِّه وقُفولـــهِ

هُوَ جَدْوَل الحب الذي قد كان في قلبي الخَضِلْ

بمراشـفِ الأحـلام منطلقـاً، يسـير علـى مَهَـلْ

يتلـو علـى سمعـي أغاريـدَ الحيـاة الطـاهرهْ

ويُثـيرُ في قلـبي أناشـيدَ الخلـود السـاحرهْ

تقف العذارى الخالداتُ .. عرائس الشعر البديعْ

في ضُـفتَيْه، مُـردَّداتٍ نغمـةَ الحلـم الوديـعْ

يلمسـن مـن قيثـارةِ الأحـلام أوتارَ الغـزلْ

فتفـيض ألحـانُ الصـبابة عذبـةً، مثـل الأمـل

وتطـير بالبَسَـمات والأنغـام أجنحـةُ الصـدى

في ذلـك الأفـقُ الجميـل، وذلـك النّسَـم الرُّخـا

وهنـاك حيـث تُعـانق البسـماتُ أنغـامَ الغـزل

يتمايـل الحلـمُ الجميـل ... كبسـمة القلـب الثّمِـل

هُـوَ جـدولٌ، قـد فجَّـرتْ يَنبوعَـه في مهجـتي

أجفـانُ فاتنـة أرتنيهـا الحيـاة لشـقوتي

أجفـان فاتنـة، تـراءَتْ لي علـى فجـر الشـباب
كعروسة من غانيات الشعر، في شَفَق الحساب
ثم اختفت خلف السماء، وراء هاتيك الغيومْ
حيث العذارى الخالداتُ، يمِسْنَ ما بين النجوم
ثم اختفـــت أوَّاه! طـــائرةً بأجنحـــة المنـــون
نحو السماء، وها أنا في الأرض تِمثال الشجون
قد كان ذلك كله بالأمسِ! بالأمس البعيد ...
والأمـسِ قـد جرفتـه مقهـوراً يـدُ المـوت العتيـد
قد كان ذلك تحت ظل الأمس، والماضي الجميل
قد كان ذلك في شعاعِ البدر من قبل الأفول
واليوم إذ زالت ظلال الأمس عن زَهرى البديع
وتَجَلْبَـتَ الزهـرُ الجميـلُ بظُلمـة الليـل المريـع
ذبلت مراشفُه، فأصبحت ذاوياً، نضو الكلوم

وهـوى لأنَّ الليـل أسمعـه أناشـيد الوجـوم ...

بالأمـس قـد كانـت حيـاتي كالسـماء الباسمـةْ

واليـوم قـد أمسـت كأعمـاق الكهـوف الواجمـةْ

إذْ أصـبح النبـع الجميـل يسـير في وادي الألمْ

متعثّـراً بـين الصـخور، يغـور في تلـك الظُّلـم

جَفَّـتْ بـه أمـواجُ ذيّاك الغـرام الآفـل

فتـدفّقتْ فيـه الـدموعُ بصَـوبها المتهاطـل

قـد حجَّبتـه غيـوم أحـزان الوجـود القاتمـةْ

قـد أخرسـته مـرارةُ القلـب التعـيس الظالمـة

جمَـدتْ علـى شـفتيه أنغـام الصـبابةِ والهـوى

وقضـتْ أغـاني الحـب، في أعماقـهِ، لمـا هـوى

وغـدت بـه الأمـواجُ، جامـدة الملامـح، قاتمـة

قـد أسـكَتَتْها لوعـة الـرُّوح الحـزين الواجمـةْ

غاضـت أمانيهـا، وغـار بهـا الجمـال السـاحر
فأصـابها – لَهَفـاً عليـه – الاكتئـابُ الكـافرُ
في ضـفتَيْه عـرائسُ الأشـعار تنصـب مأتمـاً
يْهـرقن فيـه الـدمعَ، حـتى يلطـم الـدمعُ الـدما
فيسـيل ذاك المـدمعُ الـدَّامي لقلـب الجـدولِ
حيـث المـرارةُ، والأسـى، بـين الزهـور الـذُّبَّلِ
ويـنُحن حـتى يُفعـم الأفـاق صـوتُ الانتحـاب
فتسـير أصـداءُ النياحـة نحـو أطبـاق الضَّـباب
وهناك ما بين الضباب الأقتم الساجي الكئيبْ
تهتـزُّ آلامـي، وتخـتلج الكآبـةُ، بالنحيـب

الاعتراف

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبي　　– ومشاعري عمياء بالأحزانِ –

أنِّي سأظمأ للحياة، وأحتسي　　من نهرها المتوهَّج النشوان

وأعودُ للدنيا بقلبٍ خافقٍ　　للحبِّ، والأفراحِ، والألحان

ولكل ما في الكونِ من صور المنى　　وغرائب الأهواء والأشجان

حتى تحركت السنون، وأقبلت　　فتن الحياة بسحرها الفتَّان

فإذا أنا مازلت طفلاً، مولَّعاً　　بتعقُّب الأضواء والألوان

وإذا التشاؤم بالحياة ورفضُها　　ضربٌ من البهتان والهذيان

إن ابن آدمَ في قرارة نفسهِ　　عبدُ الحياة الصادقُ الإيمان

فكرة الفنان

عـش بالشـعور، وللشـعور، فإنمـا ... دنيـاكَ كـونُ عواطـف وشـعور

شِيدَتْ على العطف العميق، وإنها ... لتجـفُّ لـو شِـيدتْ علـى التفكـير

وتظـل جامـدةَ الجمـالِ، كئيبـة ... كالهيكـلِ، المتهـدَّم، المهجـور

وتظـل قاسـيةَ الملامـحِ، جَهْمَـةً ... كـالموتِ، مُقْفِـرَةً، بغـير سـرور

لا الحُـبُّ يـرقص فوقهـا متغنيَّـاً ... للنـاس، بـين جـداولٍ وزهـور

مُتَـوَرَّدَ الوجنـاتِ سـكرانَ الخطـا ... يهتـزُّ مـن مـرحٍ، وفـرْط حبـور

مـتكلَّلاً بالـوردِ، ينثـر للـورى ... أوراقَ وردِ "اللَّـذة" المنضـور

كـلا! ولا الفـنُّ الجميـلَ تظـاهرٍ ... في الكـون تحـت عمامـةٍ مـن نـور

مُتَوَشَّـحاً بالسَّـحْر، يـنفُخ نايَـه ... المشـبوب بـين خمائـل وغـدير

أو يلمـس العـودَ المقـدَّسَ، واصـفاً ... للمـوت، للأيام، للـديجور

مـا في الحيـاة مـن المسرّة، والأسـى　　　والسَّـــحر، واللَّـــذات، والتغريـــر

أَبــداً ولا الأمــل المُجَـنَّحُ مُنْشِــداً　　　فيهـــا بصـــوت الحـــالمِ، المحبـــور

لـك الأناشـيد الـتي تَهَـبُ الـورى　　　عـزْمَ الشـبابِ، وغبطَـة العصْـفور

واجعـل شـعورَكَ، في الطبيعـة قائـداً　　　فهـــو الخبـــير بتِيههـــا المســـحور

صَحِبَ لا حيـاةَ صـغيرةً ومشـى بهـا　　　بـــين الجمـــاجم، والـــدمِ المهـــدور

وعَـدَا بهـا فـوق الشـواهق، باسمـاً　　　متغنيَّـــاً، مـــن أعصُـــرٍ ودهـــور

والعقـــلُ، رغـــمَ مَشـــيبةٍ ووقَـــاره،　　　مـــا زال في الأيام جـــدَّ صـــغير

يمشي ..، فتصرعه الرياح، فَيَنْثنِيَ　　　مُتَوجِّعـــاً، كالطـــائر المكســـور

ويظـــلُّ يســـألُ نفســـه، متفلســـفاً　　　مُتَنَطِّســـاً، في خِفَّـــةٍ وغـــرور:

عمَّـا تُحَجَّبـهُ الكواكـبُ خلفَهـا　　　مـن سـرَّ هـذا العـالَمِ المسـتور

وهـو المهشَّـمُ بالعواصـف .. يَا لَـهُ　　　مـن سـاذجٍ، متفلسـفٍ، مغـرور!

وافــتحْ فــؤادكَ للوجــود، وخلَّــه　　　للـــيمَّ للأمـــواج، للـــديجور

للـثّلجِ تنثُــرُهُ الزوابــعُ، للأســى　　　للهـــول، لـــلآلام، للمقـــدور

واتركــه يقــتحم العاصــفَ، هائمــاً   في أفقهـــا، المتلبَّـــدِ، المقـــرور

ويخـوض أحشـاءَ الوجـود، مُغَـامِراً   في ليلهـــا، المَتهيَّـــبِ، المحـــذور

حـــتى تعانقـــه لحيـــاةُ، ويرتـــوي   مـــن ثغرهـــا المتـــأججِ، المســـجور

فتعــيش في الــدنيا بقلــب زاخِــرٍ   يقِــظ المشــاعرِ، حــالِمٍ، مســحور

في نشـــوةٍ، صُـــوفِيَّةٍ، قدســـيةٍ   هــيَ خــير مــا في العــالَمَ المنظــور

يا ابن أمي

خُلقتَ طليقاً كطيف النسيم، وحراً كنور الضحى في سماهْ
تغرَّد كالطير أين اندفعتَ، وتشدو بما شاء وحيُ الإله
وتمرحُ بين ورود الصباح، وتنعم بالنور، أنَّى تراه
وتمشي – كما شئتَ – بين المروج، وتقطف ورد الرُّبا في رُباه
كذا صاغكَ الله، يا ابن الوجود، وألقتك في الكون هذي الحياة
فمالك ترضى بذُلّ القيود، وتَحني لمن كبلوك الجباه؟
وتُسكتُ في النفس صوت الحياة القويَّ إذا ما تغنَّى صداه؟
وتطبق أجفانك النيِّرات عن الفجر، والفجرُ عذبٌ ضياه؟
وتقنع بالعيش بين الكهوف، فأين النشيد؟ وأين الإياه؟
أتخشى نشيد السماء الجميل؟ أترهب نور الفضا في ضحاه؟

ألا انهضْ وسر في سبيل الحياة، فمــن نام لم تَنْتَظِـرْهُ الحيــاة؟

ولا تخـشَ ممَّـا وراء الـتلاع ... فمـا ثَمَّ إلا الضّـحى في صـباه

وإلا ربيـــعُ الوجـــود الغريـــرُ، يطـرِّزُ بالـوردِ ضـافِي رداه ...

وإلا أريـــجُ الزهـــور الصَّـــباح، ورقـص الأشـعَّةِ بـينَ الميـاه ...

وإلا حمـــام المـــروجِ الأنيـــقُ، يغــرِّدُ، منطلقــاً في غنــاه ...

إلى النُّور! فـالنور عـذبٌ جميـلٌ، إلى النـور! فـالنور ظـلُّ الإلـه

نشيد الأسى

يا ليـــت شـــعري! هـــل لليـــل الـــنفسِ مـــن صـــبح قريـــب؟

فتقـــــرَّ عاصـــــفةُ الظـــــلام، ويهجَـــعَ الرعـــدُ الغضـــوب

ويرتَّـــــل الإنســـــانُ أغنيـــــةً مـــــع الـــــدنيا، طـــــروب

مـــــا للـــــرياح تهـــــب في الـــدنيا، ويـــدركها اللُّغـــوب

إلاّ رياحـــــي، فهـــــي جامحـــــةٌ، تمرُّدُهـــــــا عصـــــــيب؟

مـــــالي تعـــــذَّبني الحيـــــاة كـــــأنني خَلْـــــقٌ غريـــــب؟

وتهـــدُّ مـــن قلـــبي الجميـــل؟ فهـــل لقلـــبي مـــن ذنـــوب؟

وإذا ســـــألتُ: "لِمَ الوجـــــود، وكلُّـــــه هـــــمٌّ مـــــذيب؟"

قالـــت: "نـــواميس الســـماء قضـتُ، ومالـك مـن هـروب؟"

آهٍ على قلبي! وإن شقيتْ! كشقوته قلوب

أنقى من الموج الوضيء، ومن نشيد العندليب

لم تقترف إثم الحياة، وكان مأواها اللهيب

يا مهجةَ الغاب الجميلِ ألم يصدَّعكِ النحيب؟

يا وجنَةَ الورد الأنيق ألمّ تَشوَّهكِ الندوب؟

يا جدول الوادي الطروب ألم يرنَّقْكَ القطوب؟

يا غيْمةَ الأُفق الخضيب ألمْ تمزَّقك الخطوب؟

يا كوكبَ الشفقِ الضحوك أما ألَمَّ بك الشحوب؟

ها أنت ذا في الأفق تضحكُ، لا تهمُّ، ولا تخيب

تُلقى على قُنن الجبال رداء لألاء قشيب

لتنام أورادُ الجبال الشمَّ، في مَهْدٍ عجيب

ولكـــي تغنيـــكَ الجـــداولُ   لحنهـــا العـــذب الحبيـــب

وتـــرى جمالـــك مـــن بنـــات   الغـــاب مَعطـــارٌ، لعـــوب

معشـــوقةٌ، في فروعهـــا تاج   مـــن الـــورد الخضـــيب

تتلـــو أناشـــيدَ الربيـــع،   كأنها نجـــوى القلـــوب

يا كوكـب الشـفق الضـحوك!   وأنـــت مُبْتَهـــلُ الكئيـــب

لُحْ في الســـماء! وغـــنَّ   أبنـــاء الشـــقاوة والخطـــوب

أنشـــودةً تَهَـــبُ العـــزاء   لكـــل مُبتـــئسٍ غريـــب

فـالطير قـد أغفـتْ، وأسـكَتَ   صـــوتَها الليـــلُ الهيـــوب

وأبسـطْ جناحـكَ في الوجـود،   فإنـــه عـــذبٌ، خَلُـــوب

متـــألّقٌ بـــين النجـــوم،   كأنـــه حلـــمٌ طـــروب

وانْشـــرْ ضِـــياءكَّ ســـاطعاً،   ليُنـــيرَ أعمـــاق القلـــوب

فعلـــــى جوانبهـــــا مـــــن   الأحـــزان ديْجُـــورٌ رهيـــب

مـــا للميـــاه نقيـــة حـــوْلِي،   وينبــــــوعِي مَشُــــــوب؟

مـــا للصـــباح يعـــود للـــدنيا،   وصُــــــبْحي لا يــــــؤوب؟

مـــا لي يضـــيق بِيَ الوجـــود،   وكـــلُّ مـــا حـــولي رحيـــب؟

مـــا لي وَجِمْـــتُ وكـــلُّ مـــا   في الغـــاب مغـــترد طـــروب؟

مـــا لي شـــقِيتُ، وكـــل مـــا   في الكـــون أخَّـــاذٌ عجيـــب:

في الأرض أقـــــدام الربيـــــع   تلامـــس الســـهل الجـــديب

فـــإذا بـــه يحيـــا، وينبـــت   رائـــق الزهـــر الرطيـــب

وهنـــــاك أنـــــوار النهـــــار   تُطـــلُّ مـــن خلـــف الغـــروب

فتخضَّــــــب الأمـــــواج،   والآفـــاق، والجبـــل الخصـــيب

إن الوجـــــودَ الرْحـــــبَ،   والغـــاباتِ، والأفـــقَ الخضـــيب

لمْ تخـــبُ أشـــواق الحيـــاة   بهـــا، فغادرهـــا القطـــوب

أمـــــا أنا ففقـــــــدتُها،   والليـــل مربـــدٌّ، رهيـــب

والــرَّيحُ تعصـــفُ بالـــورود ..،   فعشـتُ سـخريةَ الخطـوب ...

مهمـــا تضـــاحكت الحيـــاة   فـــإنني أبـــداً كئيـــب

أصـــغي لأوجـــاع الكآبـــة،   والكآبـــــة لا تجيـــــب

في مهجـــتي تتـــأوَّهُ البلـــوى،   ويعـــــتلج النَّحيـــــب

ويضـــجُّ جبَّـــارُ الأســـى،   وتجـــيش أمـــواج الكـــروب

إني أنا الـــــرُّوحُ الـــــذي   ســـيظل في الـــدنيا غريـــب

ويعـــــيش مضـــــطلعاً   بأحـــزان الشـــبيبة والمشـــيب

ذكرى صباح

قــدَّس الله ذكــره مــن صــباحٍ ساحرٍ، في ظِلال غاب جميل

كان فيه النسيم، يرقص سكراناً على الورود، والنبات البلبل

وضَباب الجبال، ينساب في رفقٍ بديعٍ، على مروج السهول

وأغاني الرعاةِ، تخفقُ في الأغوار والسهلِ، والربى، والتلول

ورحابُ الفضاء، تعيق بالألحان والعطرِ، والضياء الجميل

والمَلاَكُ الجميلُ، ما بين ريحانٍ وعُشْبٍ، وسنديان، ظَليل

يتغنَّى مع العصافير، في الغاب ويرنو إلى الضباب الكسول

وشعور الملاك ترقص بالأزهار والضوء، والنسيم، والعليل

حلْمُ ساحرٌ، به حلمَ الغابُ فواهاً لحلْمه المعسول!

مثل رؤيا تلوح للشاعر الفنَّان في نشوة الخيال الجليل

قـــد تملّيْـــت سِـــحَرهُ في أناةٍ وحنـــــانٍ، ولَـــذةٍ، وذهـــول

ثم ناديتُ، حينما طفح السَّحر بأرجـــــاء قلـــــبيَ المتبــــول

يا شـعورٌ تميـد في الغـاب بالـر يحـان، والنـور، والنسـيمْ البليـل

كَبَّليـني بهاتـه الخُصَـلِ المُرْخَـاةِ في فتنـــــةِ الـــــدَّلال الملُـــول

كبلـي يا سلاسـلَ الحـبَّ أفكـا رِي، وأحـــلامَ قلـــبيَ الضَّـــلَّيل

كبَّليني بكـل مـا فيـك مـن عِطَرٍ وسِـــــحرٍ مقـــدّسٍ، مجهـــول

كبَّليـــني، فإنمـا يُصـبح الفنـان حـراً، في مثـل هـذي الكبـول

ليت شعري! كما بين أمواجك الـ سـود، وطيَّـاتِ ليلِـكِ المسـدول

مـن غـرامٍ، مُـذّهَّبِ التـاج، ميتٍ وفـــؤادٍ، مُصَـــفَّدٍ، مغلـــول

وزهـــورٍ مـــن الأمـــانيّ تَـــذوَى في شـــحوبٍ، وخيبـــةٍ، وخمـــول

أنت لا تعلمين ...، والليلُ لا يعلم كـــم في ظلامـــهِ مـــن قتيـــل

أنـــتِ أرْجُوحَـــةُ النســـيمِ فميلـــي بالنســـيمِ الســـعيدِ كـــلَّ يميـــل

والبثي للورود والظَّللّ، والأضواء في عُرْيِـــكِ، الجميـــل، النبيـــل

وذَعي الشمسَ والسماءَ تُسَوَّي — لكِ تاجاً، من الضياء الجميل

ودعي مُزهِرَ الغصونِ يُغشِّـ — ـكِ بأوراق ورده المطلول

للشعاع الجميل أنتِ، وللأنسا — م، والزهرِ، فالعَبِي، وأطيلي

ودعي للشقِّي أشواقَه الظمْأى — وأوهامَ ذِهْنِهِ المعلول

يا عروسَ الجبالِ، يا وردةَ الآ — مالِ، يا فتنةَ الوجودِ الجليل

ليتني كنتُ زهرةً، تتثنَّ — بين طيات شَعْرِكِ المصقول!

أو فراشاً، أحومُ حولكِ مسحوراً — غريقاً، في نشوتي، وذهولي!

أو غصوناً، أحنو عليكِ بأوراقي — حُنُوَّ المُدَلَّهِ، المتبول!

أو نسيماً، أضمُّ صدرَكِ في رفْقٍ، — إلى صِدْرِيَ، الخفوق، النحيل

آهِ! كمْ يُسْعِدُ الجمالْ، ويُشْقِي — من قلوبٍ شعريَّةٍ، وعقول ...

قلب الشاعر

كـل مـا هـبّ، ومـا دبَّ، ومـا نام، أو حـام علـى هـذا الوجـودْ
مـن طيـورٍ، وزهـورٍ، وشـذى وينـابيَع، وأغصـان تميـد
وبحـارٍ، وكهـوفٍ، وذُرى وبـراكين، ووديانٍ، وبيـد
وضـياء، وظـلالٍ، ودجـى، وفصـول، وغيـوم، ورعـود
وثلـوجٍ، وضـباب عـابرٍ، وأعاصـيرَ، وأمطـارٍ تجـود
وتعـاليمَ، وديـن، ورؤى، وأحاسـيس، وصـمت، ونشـيد
كلُّهـا تحيـا بقلـبي، حُـرَّةً غصـة السـحر، كأطفـال الخلـود
ها هنا، في قلبيَ الرْحب، والعميق يـرقص المـوتُ وأطيـافُ الوجـود
هـا هنـا، تعصـف أهـوال الـدجى هـا هنـا، تخفـق أحـلام الـورود
هـا هنـا، تهتـف أصـداءُ الفنـا هـا هنـا، تُعـزَف ألحـانُ الخلـود

ها هنا، تمشي الأماني، والهوى، والأسى، في موكب فَخْمِ النشيد
ها هنا الفجر الذي لا ينتهي ها هن الليل الذي ليس يبيد
ها هنا، ألفُ خِضمّ، ثائرٍ خالدِ الثورةِ، مجهولِ الحدود
ها هنا، في كلَّ آنٍ تمّحى صَوَرُ الدنيا، وتبدو من جديد

الذكرى

كنَّا كزوجي طائر، في دوحة الحب الأمينْ
نتلو أناشيد المنى بين الخمائل والغصون
متغرَّدَيْن مع البلابل في السهول وفي الحزون
مَلأ الهوى كأس الحياة لنا، وشعشعها الفتُون
حتَّى إذا كدنا نُرشَّفُ خمرها، غضب المنون
فتخطّف الكأسَ الخَلوبَ، وحطّم الجام الثمين
وأراق خمر الحب في وادي الكآبة والأنين
وأهاب بالحبَّ الوديع، فودّع العُشّ الأمين
وشدا بلحن الموتِ في الأُفُق الحزين المستكين
ثم اختفى خلف الغيوم، كأنه الطيف الحزين ...

يا أيها القلب الشجيّ؟ إلام تخرسك الشجون؟
رحماكَ قد عذّبتني بالصمت والدمع الهتون
مات الحبيب، وكل ما قد كنتَ ترجو أن يكونَ!
فاصبر على سخط الزمان، وما تصرّفه الشؤون
فلَسَوفَ ينقذك المنونُ، ويفرح الروح السجين ...
وِرْدُ الحياة مُرَنَّقٌ، والموت مورده مَعين
ولربَّما شاق الردى الداجي، وأعماقُ المنون
قلباً، تروعَّه الحياة، ولا تُهادنه السنَّون
ومشاعراً حسْرى، يسيرُ بها القنوط إلى الجنون

الساحرة

راعهـــا منــــه صَـــمْتُه ووجُومُـــه   وشـــجاها شُـــحوبهُ وســـهُومُهْ

فـأمَرَّتْ كفّـاً علـى شَـعْره العـاري   برفـــــق، كأنهـــــا ســــــتُنيمُهْ

وأطلّـــتْ بوجههـــا الباســـم الحلـــو   علـــى خـــدَّه وقالـــتْ تلومُـــهْ:

"أيهـــا الطـــائر الكئيـــب تَغَـــرَّدُ   إنَّ شَـدْوَ الطيـور حلـوٌ رخيمـهُ؟"

"وأجِبْـنِي فـدتك نفسـي – مـاذا؟   أمصـــابٌ؟ أم ذاك أمـــرٌ ترومـــه؟"

"بـل هـو الفـنُّ واكتئابـه، والفنَّـان   جــــم أحزانــــهُ وهمومـــــه"

"أبـــداً يحمـــل الوجـــود بمـــا فيـــه   كـــأن لـــيس للوجـــود زعيمـــهُ:"

"خـل عـبء الحيـاة عنـك، وهيَّـا   بمحيَّـــا، كالصـــبح، طلْـــقٍ أديمُـــهْ"

"فكثـير عليـك أن تَحْمِـلَ الـدنيا   وتمشـــي بوقرهـــا لا تَريمـــه"

"والوجـود العظـيم أُقعِـدَ في الماضـي   ومـــا أنـــت ربُّـــه فتقيمـــه"

"وامـش في روضـة الشـباب طَـروباً فحواليـــــك ورَدْهُ وكرومـــــــه"

"واتــل للحــب والحيــاة أغانيــك وخـــل الشـــقاء تَـــدْمَي كلومـــه"

"واحتضَّـــني، فـــإنني لـــكَ، حـــتى يتـــوارى هـــذا الـــدجى ونجومَـــه"

"ودع الحُـبَّ يُنشـدُ الشـعر لليـل، فكـمُ يُسـكر الظـلامَ رنيمـهُ ..."

"واقطف الورد من خدودي، وجيدي ونهودي ..، وافعل به ما ترومه"

"إن لِلْبيــت لهــوه، النــاعمَ الحلَــو ولِلْكـــــون حربـــــهُ وهمومُـــــهْ"

"وارتشفْ من فمي الأناشيدَ سَكرَى، فـــالهوى ســـاحرُ الـــدلالِ، وَسِـــيمهُ"

"وانْسَ فيَّ الحيـاةَ ..، فـالعمرُ قفْرٌ، مرعـــبٌ إن ذَوَى وجـــفَّ نعيمـــه"

"وارْمِ لليـــــل، والضـــبابُ بعيـــداً فَنَّـــكَ العـــابس، الكثـــيرَ وجُومـــه"

"فـاهوى، والشـبابُ، والمـرح المعـ ـــسولُ تشـــدو أفنانـــهُ ونســـيمه"

"هـي فـن الحيـاة، يا شـاعري الفنَـانَ بـــــل لُـــــبُّ فنّهـــا وصـــــميمُهْ"

"تلـك يا فيلسـوفُ، فلسـفة الكـوْ ن، ووَحْـيُ الوجـودِ هـذا قديمـه"

"وهـــي إنجيلـــيَ لجميـــلُ، فصـــدَّقْه وإلاّ ..، فلِلْغـــــرام جحيمـــــه .."

فرماهـــــا بنظـــــرة، غَشَـــــيِتْها سـكرةُ الحُـبِّ، والأسـى وغيومُـهْ

وتلاهـــــا ببســــــمة، رشـــــفتها منــه ســكرانةُ الشــباب، رؤومُــهْ

والتقـت عنـدها الشـفاهُ ..، وغنَّت قُبَّـــلٌ، أجفلـــتْ لـــديها همومُـــهْ

مـا تريـد الهمـومُ مـن عـالمٍ، ضـاءت مســــرَّاتُه، وغنَّــــتْ نجومُــــهْ؟

ليلـــةٌ أســـبلَ الغـــرامُ عليهـــا ســحرَه، النــاعمَ الطريــرَ نعيمُــهْ

وتَغــنَّى في ظلّهــا الفــرَحُ اللاهــي فجــفَّ الأســى وخــرَّ هشــيمُهْ

أغـرق الفيلســوفُ فلسـفة الأحـ ـزان في بحرهـا ..، فَمَنْـذا يلومُـهْ

إن في المـــرأةِ الجميلـــةِ ســـحراً عبقــرياً، يُــذْكي الأســى، ويُنيمُــهْ

يا شعر

يا شعرُ أَنْتَ فمُ الشعور، وصرخةُ الروحِ الكئيبُ

يا شعر أنت صدى نحيب القلب، والصّب الغريب

يا شـعرُ أَنْـتَ مـدامعٌ عِلقـتْ بأهـداب الحيـاة

يا شـعر أن دمٌ، تفجّـر مـن كلـوم الكائنـات

يا شـعر! قلـبي – مثلمـا تـدري – شـقى، مظلـمُ

فيـه الجـراحُ، النجْـلُ، يقطـر مـن مغاورهـا الـدمُ

جمـدت علـى شـفتيه آرزاءُ الحيـاة العابسـة

فهـو التعـيسُ، يُذيبـه نـوح القلـوب البائسـة

أبـداً ينـوح بحرقـة، بـين الأمـاني الهاويـةْ

كالبلبـل الغرَّيـد مـا بـين الزهـور الذاويـةْ

كـمْ قـد نصـحتُ لـه بأن يسـلو، وكـمْ عزَّيتـهُ

كم قلت: "صبراً يا فؤادُ! ألا تَكُفَّ عن النحيب؟"

"فـإذا تجلّـدت الحيـاةُ تبـدَّدت شُـعَلُ اللهيـب"

"يا قلـبَ لا تجـزعِ أمـامَ تصـلُّبَ لـدهر الهصِـورْ"

"فإذا صـرختَ توجُّعاً هزئـت بصـرختك الـدهورْ"

"يا قلب! لا تسخط على الأيام، فالزهر البديعْ"

"يصـغي لضـجات العواصـف قبـل أنغـام الربيـع"

"يا قلب! لا تقنع بشوك اليأس من بين الزهور"

"فـوراءَ أوجـاع الحيـاة عذوبـةُ الأمـل الجسـور"

"يا قلـب! لا تكـبْ دموعَـكَ بالفضـاء فتنـدم"

"فعلـى ابتسـامات الفضـاء قسـاوةُ المـتهكِّمِ"

لكـنّ قلـبي وهـو – مُخضـلُّ الجوانـب بالـدموعْ

جاشتْ به الأحزانُ، إذا طفحت بها تلك الصدوع

يبكـــي علـــى الحلـــم البعيـــد بلوعـــةٍ، لا تنجلـــي

غـــرداً، كصَـــدَّاح الهواتـــف في الفـــلا، ويقـــول لي:

"طهِّـــرْ كلومـــكَ بالـــدموعِ، وخلَّهـــا، وســـبيلَها"

"إن المـــــدامع لا تضـــــيع حقيرهـــــا وجليلهـــــا"

فَمِـنَ المـدامع مـا تـدفّعَ جارفـاً حسَـك الحيـاةْ"

يرمـــي لهاويـــة الوجـــود بكـــل مـــا يبـــني الطغـــاة"

"ومـن المـدامع مـا تألـق في الغياهـب كـالنجوم"

"ومن المدامع ما أراح النفس من عبء الهموم"

فـــارحَم تعاســـته، ونُـــحْ معـــه علـــى أحلامِـــهِ

فلقـد قضـى الحلـمُ البـديعُ علـى لظـى آلامِـهِ

يا شـعر! يا وحـي الوجـود الحـي، يا لغـة الملائِـكْ

غـــرِّدْ، فـــأيَّامي أنا تبْكـــي علـــى إيقـــاع نايـــكْ

ردِّدْ علـــى سمـــع الـــدجى أناتِ قلـــبي الواهيـــةْ

واسكب بأجفان الزهور دموعَ قلبي الدامية

فلعلّ قلب الليل أرحم بالقلوب الباكية

ولعلّ جفن الزهر أحفظ للدموع الجاريةْ

كم حرَّكت كفُّ الأسى أوتارَ ذّياك الحنينْ

فتهاملت أحزانُ قلبي في أغاريد الأنين

فَلَكَمْ أرَقْتُ مدامعي، حتى تقرّحتِ الجفونْ

ثمَّ التفتَّ، فلم أجد قلباً يقاسمني الشجون

فعسى يكون الليل أرحم، فهو مثلي يندب

وعسى يصون الزهر دمعي، فهو مثلي يسكب

قد قنعتْ كفُّ المساء الموتَ بالصمَّت الرهيب

فغدا كأعماق الكهوف، بلا ضجيج أو وجيب

يأتي بأجنحة الكون، كأنه الليل البهيم

لكن طيفَ الموت قاسٍ، والدجى طيفٌ رحيم

مـــا للمنيـــة لا تـــرقُّ علـــى الحيـــاة النائحـــة؟

سِـــيَّان أفئـــدة تـــئن، أو القلـــوب الصـــادحة

يا شِـعرُ! هـل خُلِـقَ المَنـون بـلا شـعورٍ كالجمـاد؟

لا رعشـــة تعـــرو يديـــه إذا تملَّقـــه الفـــؤاد

أرأيـــتَ أزهـــارَ الربيـــع، وقـــد ذوتْ أوراقُهـــا

فهـوت إلى صـدر الـتراب، وقـد قضـت أشـواقُها؟

أرأيـــت شـــحرور الفـــلا، مترنمـــاً بـــين الغصـــون

جمـد النشـيدُ بصـدره، لمـا رأى طيـفَ المنـون

ففضـى، وقـد غاضـت أغاريـدُ الحيـاة الطـاهرةْ

وهـوى مـن الأغصـان، مـا بـين الزهـور الباسـرة؟

أرأيـتَ أم الطفـل تبكـي ذلـك الطفـلَ الوحيـد

لمـــا تناولـــه بعنـــفٍ، ســـاعد المـــوت الشـــديد؟

أسمعـتُ نَـوْحَ العاشـق الولهـانِ، مـا بـين القبـور

يبكـــي حبيبتَـــه؟ فيالمصـــارع المـــوت الجســـور

طفحـتْ بأعمـاق الوجـود سـكينةُ الصـبر الجليـد

لمــا رأى عــدل الحيــاة يضــمه اللحــدُ الكنــود

فترفقــت لحنــاً، يــردده علــى سمــع الــدهور

صوتُ الحياة بضجة ..، تسعى على شفة البحور

يا شـعرُ! أنـت نشـيدُ أمـواج الخضـم السـاحرةْ

الناصــعات، الباسمــات، الراقصــات، الطــاهرةْ

الســافرات، الصــادحات مــع الحيــاة إلى الأبــد؟

كعرائس الأمـل الضـحوك، يَمِسْـنَ مـا طـال الأمـد

هـــا إن أزهـــار الربيـــع تبســـمتْ أكمامُهـــا

ترنـــو إلى الشَّـــفق البعيـــد، تغزُّهـــا أحلامُهـــا

في صــدرها أمــلٌ، يحــدِّق نحــو هاتيــك النجــوم

لكنـــه أمـــلٌ، ســـتلحده جبـــابرةُ الوجـــوم

فلسوف تغمض جفنها، عن كل أضواء الحياة

حيث الظلام مُخَيَّمٌ في جو ذياك السبات

ها إنها همست بآذن الحياة غريدَها

قتلت عصافيرُ الصباح، صُداحَها ونشيدهَا

يا شعرُ! أنت نشيد هاتيك الزهور الباسمةْ

يا ليتني مثل الزهور، بلا حياة واجمة

إن الحياة كئيبةُ، مغمورة بدموعها!!

والشمسُ أضجرها الأسى، في صحوها وهجوعها

فتجرعت كأساً دهاقاً، من مُشَعشَعة الشَّفَق

فتمايلت، سكرى إلى كهف الحياة .. ولم تُفِق

يا شعرُ! أنتَ نحيبها لما هوَتْ لسُباتها

يا شعرُ أنتَ صُداحها، في موتها وحياتها

أنظر إلى شفق السماء، يفيض عن تلك الجبال

بشـعاعه الخـلاب، يغمرهـا ببسـماب الجمـال

فيثـير في الـنفس الكئيـب عاصـفاً لا يركـد

ويـؤجِّج القلـبَ المعـذَّبَ شـعلةً لا تخمـد

يا شـعرُ! أنـت جمـال أضـواء الغـروب السـاحرة

يا همـس أمـواج المسـاء، الباسمـات الحـائرة

يا ناي أحلامـي الحبيبـة! يا رفيـقَ صـبَابتي

لـولاك مـت بلـوعتي، وبشـقوقي، وكـآبتي

فيكَ انطوتْ نفسي، وفيكَ نفختُ كلَّ مشاعري

فاصـدح علـى قمـم الحيـاة بلـوعتي، يا طـائري

بقايا الخريف

كرهتُ القصورَ، وقطانَها، وما حولَها من صراعٍ عنيفْ
وكيدِ الضعيف لسعي القويِّ، وعصف القويِّ بجَهد الضعيف
وجاشت بنفسي دموع الحياة، وعجَّت بقلبي رياح الصروف
لقلب الفقير الحطيم، الكسير ودمع الأيامى السفيح الذريف
ونَوْحِ اليتامى على أمهات، تواريْنَ خلف ظلام الحتوف
فسرْتُ إلى حيث تأوى أغاني الربيع، وتذوي أماني الخريف
وحيث الفضا شاعرٌ، حالمٌ، يناجي السهول بوحيٍ، طريف
وقد دثَّرته غيومُ المساء بظلٍ، حزينٍ، ضريج، شفيف
وبين الغصون التي جردَّتها ليالي الخريف، القويَّ العَسُوف
وقَفْتُ، وحوْلي غديرٌ، مواتٌ، تمادتْ به غَفَوَاتُ الكهوف

قضت في حفافيه تلك الزُّهور، فكفَّنها بالصقيع الخريف

سوى زهرةٍ شقيت بالحياةِ، ومَلْبَثِها بالمُقام المخيف

يروِّعها فيه قصفُ الرعود، ويحزنها فيه ندْبُ الزفيف

ويَنْتابُها في الصباح الديمُ، وفي الليلِ حلمٌ، مريعٌ مخيف

وتُرْهِبُها غاديات الغمام، وتُؤلمها كلُّ ريحٍ عصوف

فتَرْنُو لما حولها من زهور، وما ثَمَّ إلا السحيقُ، الجفيف

فتبكي بكاء الغريب، الوحيد، بشجوٍ كظيمٍ، ونُوْحٍ ضعيف

تباكى به لُبَّها المستطار، وترثى به ما طوْته الحُتُوف

وتشكو أساها بياض النهارِ وتندُبُ حظَّ الحياة الخفيف

ولكن لقد فقدت في الوجود رفيقاً مُصيخاً، وقلباً رؤوف

فما ثَمَّ إلا الصخورُ القواسي، وإلاّ الصدى المستطارُ الهتوف

فجادت بروحٍ شقيٍ شجيٍ، لقد عذْبته الليالي صنوف

وماتتْ، وقد غادرْتها بقاعٍ من الأرض ضنكٍ، حياة الصروف

فبانتْ حيالَ الغدير الأصمَّ، وقد أخرس الموتُ ذاك الحفيف

وقـد خضَّـبتْها غيـومُ المسـاء، كغانيـة ضـرَّجتها السـيوف

فسلْها: "تُرى كيف غاض الأريجُ؟ وكيف ذَوَى سحرُ ذاك الرفيف؟"

"وكيـف خبـت بسـمات الحيـاة بأجفانهـا، وعراهـا الكسـوف؟"

"وكيـف لَـوَتْ جيـدَها الحـادثاتُ وألْـوَتْ بـذاك القـوام اللطيـف؟"

ذكـــرت بمضـــجعها المطمـــئنَّ ومرقــدها في السَّــفِير الجفيــف

مصـــارعَ آمـــالِي الغـــابرات وخيْبَتَهــا في الصــراع العنيــف

فقلّبــت طــرفي بمهــوى الزهــور وصــعَّدته في الفضــاء الأسـيف

وقلت: "هَوَ الكونُ مَهْدُ الجمال ولكـنْ لكـل جمـالٍ خريـف! .."

وأطرقـتُ، أصـغي لهمـس الأسـى وقـد غَشِـيَ الـنفسَ هـمٌّ كثيـف

وغاضـــتْ ثُمالــةُ نـــور النهـــار وأرْخى ظلامُ الوجود السجوف

الأشواق التائهة

يا صـــميمَ الحيـــاة! إني وحيـــدٌ   مـــدْلجٌ، تائـــه، فـــأين شـــروقُك؟

يا صـــميم الحيـــاة! إني فـــؤادٌ   ضـــائع، ظـــامئٌ. فـــأين رحيقـــك؟

يا صميم الحياة! قد وجمَ النْايُ   وغـــام الفضـــا، فـــأين بروقـــك؟

يا صـميم الحيـاة! أيـن أغانيـك!   فتحـت النجـومُ يصـغي مشَـوقك

كنـــتُ في فجـــرك، الموشَّـــح بالأحـــلام، عِطْـــراً، يُـــرفُّ فـــوق ورودِك

حالمـــاً، ينهـــل الضـــياءَ، ويُصـــغي لـــك، في نشـــوةٍ بـــوحي نشـــيدك

ثُمَّ جـــاء الـــدجى ..، فأمســـيتُ أوراقـــاً، بـــداداً، مـــن ذابـــلات الـــورود

وضـــباباً مـــن الشـــذى، يتلاشـــى   بين هول الدجى وصَمت الوجود

كنتُ في فجركَ المغلَّف بالسحر   فضـــاءَ مـــن النشـــيد الهـــادي

وسحاباً من الرؤى، يتهادى في ضمير الآزال والآباد

وضياءٍ، يعانق العالمَ الرحب. ويسري في كل خافٍ وباد

وانقضى الفجرُ ..، فانحدرتُ من الأفق تراباً إلى صميم الوادي

يا صميم الحياة! كما أنا في الدنيا غريبٌ! أشقى بغربة نفسي

بين قوم، لا يفهمون أناشيدَ فؤادي، ولا معاني بؤسي

في "وجودٍ مكبَّل بقيودٍ، تائهٍ في ظلام شكٍ ونحس

فاحتضِنِّي، وضُمَّني لك –كالماضي – فهذا الوجودُ علَّةُ يأسي

لم أجد في الوجود إلا شقاءً، سرمديًّا، ولَذّةً، مضمحلَّةْ

وأمانيَّ، يُغرق الدمعُ أحلاها، ويُفني يمٌّ الزمان صداها

وأناشيدَ، يأكل اللهَيبُ الدَّامِي مسرَّاتِها، ويُبْقِي أساها

ووروداً، تموت في قبضة الأشواك. ما هذه الحياة المُمِلَّةُ؟!

سأَمٌ هذه الحياة مَعَاد وصباحٌ، يكر في إثر ليل

ليتـــني لم أفِـــدْ إلى هـــذه الـــدنيا، ولم تســـبح الكواكـــبُ حـــولي!

ليتـــني لم يعـــانق الفجـــر أحلامـــي، ولم يلـــثم الضـــياءُ جفـــوني!

ليتــني لم أزل – كمــا كنــت – ضــوءاً، شــائعاً في الوجــود، غــير ســجين!

أحلام شاعر

ليت لي أن أعيش في هذه الدنيا سعيداً بوحدتي وانفرادي
أصرف العمر في الجبال، وفي الغابات، بين الصنوبر الميَّاد
ليس لي من شواغل العيش ما يصرف نفسي من استماع فؤادي
أرقبُ الموت، والحياةَ، وأصغي لحديث الآزال والآباد
وأغنِّي مع البلابل في الغاب، وأصغِي إلى خرير الوادي
وأناجي النجومَ والفجرَ، والأطيارَ والنهرَ، والضياءَ الهادي
عيشةَ للجمال، والفن، أبغيها بعيداً عن أَمتي وبلادي
لا أُعنِّي نفسي بأحزان شعبي فهو حي، يعيش عَيْش الجماد!
وبحسبي من الأسى ما بنفسي من طريفٍ ومُستْحْدَثٍ، وتِلاد
وبعيداً عن المدينة، والناس، بعيداً عن لغو تلك النوادي

فهو من معدن السخافة والإفك ومن ذلك الهراء العادي

أيْنَ هو من خرير ساقية الوادي وخفْقِ الصدى، وشدو الشادي

وحفيفِ الغصون، نمقَّها الطلُّ وهمس النسيمَ للأورْاد؟

هذه عِيشةٌ تقدَّمها نفسي وأدعو لمجدها، وأنادي

قيود الأحلام

وأَوَدُّ أنْ أحيـا بفكـرة شـاعر   فأرى الوجودَ يضيق عن أحلامي
إلا إذا قطّعتُ أسبابي مع الدنيا   وعشـتُ لوحـدتي وظلامـي
في الغاب، في الجبل البعيد عن   حيث الطبيعة، والجمال السامي
وأعـيش عِيشـةَ زاهـدٍ مُتنَسَّـكٍ   مـا إن تدنَّسـهُ الحيـاة بـذام
هَجَـرَ الجماعـةَ للجبـال، تورُّعـاً   عنها وعن بطش الحياة الدامي
تمشـي حواليـه الحيـاة كأنها   الحلمُ الجميـل، خفيفـةَ الأقـدام
وتَخِـرُّ أمـواج الزمـان بهيبـةٍ   قدسـيَّةٍ، في يمِّهـا المترامـي
فـأعيش في غـابي حيـاةً، كلّها   للفـنَّ للأحـلام، للإلهـام
لكنـني لا أسـتطيع، فـإنَّ لي   أمَّـا، يصـدُّ حنانُها أوهـامي
وصِغارَ إخوانٍ، يرون سلامهم   في الكائنـات معلقـاً بسـلامي

فقــدوا الأب الحــاني، فكنــتُ   كهْفــاً يَصُـــدُ غوائـــلَ الأيام

ويقـيهم وَهَـجَ الحيـاة، ولفحَهـا   ويَـــذود عـــنهم شِـــرَّة الآلام

فـأنا المكبَّـلُ في سلاسـلَ، حيَّـةٍ،   ضـحَّيتُ مـن رأُفي بهـا أحلامـي

وأنا الذي سكنَ المدينة، مُكرها   ومشـــى إلى الآتي بقلـــب دام

يصــغي إلى الــدنيا الســخيفة   ويعـيش مثـل النـاس بالأوهـام

وأنا الــذي يحيــا بأرض، قفــرةٍ   مـــدحوَّةٍ للشـــكِّ والآلام ...

هجمت بي الـدنيا على أهوالهـا   وخِضـــمَّها الرحـــب، العميـــق

مـن غـير إنـذارٍ فأحمـل عُـدتي   وأخوضـــه كالســـابح العـــوَّام

فتحطمـت نفسـي علـى شـطآنه   وتأجَّجـــت في جـــوه آلامـــي

الويـل في الـدنيا الـتي في شـرعِها   فـأُسُ الطغـام كريشـةِ الرسـام؟

سر النهوض

لا ينهض الشعبُ إلاّ حين يدفعه

عــزمُ الحيــاة، إذا مــا اســتيقظتْ فيــه

والحَــبُّ يخــترق الغــبراء، منــدفعاً

إلى الســــماء، إذا هبَّـــــتْ تناديــــه

والقيْـدُ يألفـهُ الأمـواتُ، مـا لبثـوا

أمــــا الحيــــاةُ فيُبْليهــــا وتُبْليــــه

صلوات في هيكل الحب

عذْبــةٌ أتــت كالطفولــة، كــالأحلام كـــــاللحن، كالصــــباح الجديـــدِ

كالسـماء الضـحوك كالليلـة القْمـراء كــــالورد، كابتســــام الوليـــــد

يا لهـــا مـــن وداعـــةٍ وجمـــال وشــــباب مُـــنَعَّمٌ أملـــود!

يا لهـا مـن طهـارةٍ، تبعـث التقديـ ـسَ في مهجـة الشـقيَّ العنيـد! ..

يا لهـا مـن رقـةً تكـادُ يَـرفُّ الـوَرْدُ منهـــا في الصـــخرة الجلمـــود!

أيُّ شيء تُراكِ؟ هل أنتِ "فينيس" تَهـادتْ بـين الـورى مـن جديـد

لِتُعيــدَ الشــبابَ والفــرح المعــلَ للعـــالم التعـــيسِ العميـــد!

أم مــلاكُ الفــردوس جــاء إلى الأر ض لُيحْـي روح السـلام العهيـد!

أنتِ ...، ما أنتِ؟ أنت رسمٌ جميل عبقــريٌّ مــن فــنَّ هــذا الوجــود

فيـك مـا فيـه مـن غمـوض وعمـقٍ وجمـــالٍ مُقـــدَّسٍ معبـــود

أنت. ما أنت؟ أنت فجر من السحر تجلـــــى لقلـــــبي المعمــــود
فــأراه الحيــاة في مونــق الحســن وجلّـــى لـــه خفـــايا الخلـــود
أنــتِ روح الربيــع، تختــال في الــد نيـــا فتهتـــز رائعـــاتُ الـــورود
وتهــبُّ الحيــاة سـكرى مــن العِطــ ــر، ويــدْوي الوجــود بالتغريــد
كلمــا أبصــرتكِ عينــايَ تمشــين بخطـــــوٍ موقَّـــــعٍ كالنشـــــيد
خَفَــقَ القلــبُ للحيــاة، ورفَّ الــزَّ هــرُ في حقــل عمــريَ المجــرود
وانتشــتْ روحــيَ الكئيبــةُ بالحــبِّ وغنـــــتْ البلبـــــل الغرَّيـــــد
أنــت تُحيــينَ في فــؤادي مــا قــد مــات في أمســى السـعيدِ الفقيــد
وتُشـــدين في خرائـــب روحـــي مــا تلاشــى في عهــديَ المجــدود
مــن طمــوحِ إلى الجمــالِ إلى الفــنَّ، إلى ذلـــك الفضـــاء البعيـــد
وتَبُثَّــين رقــة الشــوق، والأحــلامِ والشـــدو، والهــوى، في نشــيدي
بعـــد أن عانقـــتْ كآبُـــة أيّامـــي فـــؤادي، وألجمـــتْ تغريـــدي
أنـــت أنشـــودة الأناشـــيد غنـــاكِ إلـــهُ الغنـــاء، رَبُّ القصـــيد

فيك شِبَّ الشبَّاب، وشَّحهُ السَّحر وُشــدوُ الهــوى، وعِطــرُ الــورود

وتــراءى الجمــالُ، يــرقص رقصــاً قُدُســيًّا، علــى أغــاني الوجــود

وتهــادت في أُفــقِ روحِــكِ أوزْانُ الأغـــاني، ورقـــةُ التغريـــد

فتمايلـــت في الوجـــود، كلحْـــنِ عبقــريَّ الخيــالِ حلــوِ النشــيد:

خطــوات، ســكرانة بالأناشــيد، وصـــوت، كرجْـــع نايٍ بعيـــد

وقــوام، يكــاد ينطــق بالألحــان في كـــلّ وقفـــةٍ وقعـــود

كــلُّ شــيءٍ موقــع فيــك، حــتَّى لَفْتــةُ الجيــد، واهتــزازُ النهــود

أنتِ ..، أنتِ الحياةُ في قدْسها الـ سامي، وفي سحرها الشجيَّ الفريد

أنــت ..، أنــت الحيــاة، في رِقِــة الـ فجــر في رونــق الربيــع الوليــد

أنت ..، أنتِ الحياةُ فيك وفي عيـ نْيــكِ آياتُ ســحرها المَمْــدود

أنــت ..، أنــتِ الحيــاةُ، كــل أوانٍ في رُواء مـــن الشـــباب جديـــد

أنتِ دنيـا مـن الأناشـيد والأحْـلام والســـحْر والخيـــال المديـــد

أنتِ فـوق الخيـال، والشَّعرِ، والفنَّ وفــوْق النُّهــى وفــوق الحــدود

أنتِ قُدْسِي، ومعبدي، وصاحبي وربيعي، ونَشْوَتي، وخلودي

يا ابنة النور، إنني أنا وَحدي مَن رأى فيك رَوعة المعبود

فدَعيني أعيش في ظلك العذب وفي قرب حُسنك المشهود

عِيشة للجمال، والفن، والإلهام والطُّهر، والسنّى، والسجود

عِيشة الناسك البتُول يُناجي الرَّبَّ في نشوةِ الذُّهول الشديد

وامنحيني السلامَ والفرحَ الروحيَّ يا ضوءَ فجريَ المنشود

وارحميني، فقدْ تهدَّمتْ في كونٍ من اليأس والظلام مَشيد

أنقذيني من الأسى، فلقد أمسيت لا أستطيع حملَ وجودي

في شعاب الزمَّان والموت أمشي تحت عبءِ الحياة جَمَّ القيود

وأماشي الورَى ونفسي كالقبر وقلبي كالعالم المهدود:

ظُلْمة، ما لها ختام، وهول شائع في سكونها الممدود

وإذا ما استخفني عَبَثْ الناس تبسَّمتُ في أسى وجُمُود

بسمة مُرَّة، كأنيَّ أستلُّ من الشَّوْك ذابلاتِ الورود

وانفخـي في مشـاعري مَـرَحَ الـدنيا وشُــدَّي مــن عزمــيَ المجهــود

وابعثــي في دمــي الحــرارة، عَلَّــي أتغــنَّي مــع المُــنى مِــن جديــد

وأُبــثُّ الوجــودَ أنْغــامَ قلــبِ بُلْبُلــيّ، مكبَّـــلٍ بالحديــد

فالصـباحُ الجميـلُ يُـنعش بالـدِّفء حيـــاة المُحطّـــم المكـــدود

أنقـذيني، فقـد سـئمت ظلامـي! أنقـذيني، فقـد مللـتُ ركـودي؟

آه يا زهـرتي الجميلـة لـو تـدرين مـا جَـدَّ في فـؤادي الوحيـد

في فـؤادي الغريـب تُخْلـقُ أكـوان مـن السـحر ذات حسـن فريـد

وشمـــوسٌ وضـــاءةٌ ونجـــومٌ تنشـرهُ النـورَ في فضـاءٍ مديـد

وربيـــعٌ كأنـــه حُلُـــمُ الشـــاعرِ في سَــكرة الشــباب الســعيد

ورياض لا تعـرف الحلـكَ الـداجي ولا ثـــورة الخريـــف العتيـــد

وطيــور ســحرية تتنــاغى بأناشــيد حلــوة التغريــد

وقصـور كأنها الشّـفق المخضـوب أو طلعـــة الصـــباح الوليـــد

وغيـــومٌ رقيقـــة تتهـــادى كأباديـــدَ مـــن نُثـــار الـــورود

وحيـــاةٌ شـــعرية هـــي عنـــدي صـــورة مـــن حيـــاة أهـــل الخلـــود

كـل هـذا يشـيده سـحرُ عينيـك وإلهـــــام حســـــنك المعبـــــود

وحـــرام عليـــك أن تهـــدمي مـــا شـادةُ الحُسـنُ في الفـؤاد العميـد

وحـرام عليـك أن تسـحقي آمـ ـالَ نفـسٍ تصـبو العـيشِ زغيـد

منـــك ترجـــو ســـعادةً لم تجـــدها في حيـاة الـورى وسـحر الوجـود

فالإلــه العظــيم لا يَــرْجُمُ العَبْــدَ إذا كـــان في جـــلال الســـجود

قال قلبي للإله

في جبال الهموم، أنبتُّ أغصاني فرقّــت بــين الصــخور بجهَــدْ
تغشــاني الضــبابُ ..، فأورقــتُ وأزهــرت للعواصــف، وحــدي
وتمايلــتُ في الظــلام، وعطّــرتُ فضــاء الأســى بأنفــاس وردي
وبمجـد الحيـاةِ، والشـوقِ غَنَّيْتُ فلـم تفهـم الأعاصـيرُ قصـدي
ورَمَـتْ للوهـاد أفنـانيَ الخُضْـرَ، وظلّـت في الـثَّلج تحفـر لحـدي
ومضت بالشذى فقلت: "ستبنى في مروجِ السماء بالعِطْر مَجْدي"
وتَغَزَّلْــتُ بالربيــع، وبالفجــر فمــاذا ســتفعل الــريح بعــد؟

إلى قلبي التائه

مـا لآفاقـك يا قلـبي سـوداً، حالكـات؟
ولأورادكَ بـين الشـوك صـفراً، ذاويات؟
ولأطيـارك لا تغلـو؟ فـأين النغمـات؟
مـا لمزمـارك لا يشـدو بغـير الشـهقات؟
ولأوتارك لا تخفـق إلا شـاكيات
ولأنغامـك لا تنطـق إلا باكيـات
ولقد كانت صباحَ الأمس بين النسمات
كعذارى الغاب، لا تعرف غير البسمات؟
هـو ذا يا قلـبيَ البحـري، وأمـواج الحيـاة!
هو ذا القارب مشدوداً إلى تلك الصفاة!

هو ذا الشاطئَ لكن أين رُبَّانُك؟ مات!

أين أحلامك يا قلبي؟ لقد فات الفوات!

تلك أطيارٌ، أنيقاتٌ، طرابٌ، فرحات

غـرَّدتْ، ثم تـوارتْ في غيـابات الحيـاة

أنـت يا قلـبي قلـبٌ، أنضـجته الزفـرات

أنـت يا قلـبيَ عـشٌّ، نفـرت عنـه القطـاة

فسـأطارته إلى النهـر الـرياحُ العاتيـات

فهـو في التيَّـار أوراق، وأعـواد عـراة

أنت حقلٌ، مُجْدبٌ، قد هزئت منه الرعاة

أنـت ليـلٌ، مُعْـتِمٌ، تنـدب فيـه الباكيـات

أنـت كهـف، مظلـمٌ، تأوى إليـه البائسـات

أنت صَرْحٌ، شاده الحب على نهر الحياة

لبنـات الشـعر ..، لكـن قوَّضـته الحـادثات

أنـت قـبرٌ، فيـه مـن أيامِـي الأولى رُفـات

أنــت عــودٌ، مزَّقــت أوتاره كــفُّ الحيــاة

فهـو في وحشـته الخرسـاء، بـين الكائنـات

صـامتٌ كـالقبر، إلا مـن أنِـينِ الـذكريات

أنـت لحَـنٌ سـاحر، يخبط في التيـهِ المَوَات

أنت أنشودةُ فَجْرٍ ..، رتَّلْتها الظلمات ..

أيهـا السـاري مـع الظلمـة، في غـير أناة

مُطرقاً، يخبطُ في الصحراء، مكبوحَ الشكاة

تُهْتَ في الـدنيا، وما أُبْتَ بغير الحسـرات

صـلِّ يا قلـبي إلى الله، فـإن المـوت آت

صـلِّ فالنّـازعُ لا تبقـى لـه غـير الصـلاة

أراك

أراك، فتحلــو لــدىّ الحيــاة ويمــلأُ نفســي صــباحُ الأمــل
وتنمــو بصــدري ورُودٌ عــذابٌ وتحنــو علــى قلــبيَ المشــتعلْ
ويفتَنُــني فيــكِ فــيضُ الحيــاة وذاك الشــباب الوديــعُ، الثِمــل
ويفتنــني ســحرٌ تلــك الشــفاه ترفــرف مــن حــولهنّ القُبَــل
فأعبُــدُ فيــكِ جمــالَ الســماء، ورقّــة وردَ الربيــع، الخضــل
وطُهْــرَ الثلــوج، وسِــحْرَ المــروج مُوَشّـــحَةً بشـــعاع الطْفَـــلْ
أراكِ، فــأخلَقُ خَلْقــاً جديــداً كــأنيَّ لم أبْــلُ حــربَ الوجــودْ
ولم أحتمــل فيــه عِبئــاً، ثقــيلاً مــن الــذكريات الــتي لا تَبيــد
وأضــغاث أيامــي، الغــابرات وفيهــا الشــقيُّ، وفيهــا الســعيد

ويغْمُرُ روحيِ ضياءٌ، رفيقٌ   تكلله رائعاتُ الورود

وتُسْمُعني هاته الكائناتُ   رقيقَ الأغاني، وحلْوَ النشيد

وترقص حولِي أمانٍ، طراب   وأفراحُ عمْرٍ خلَيّ، سعيد

أراكِ، فتخفق أعصابُ قلبي   وتهتز مثلَ اهتزاز الوتَرْ

ويجري عليها الهوى، في حنُوٍ   أناملَ، لدناً، كرَطْب الزهر

فتخطو أناشيدُ قلبيَ، سكْرَى   تغرَّدُ، تحت ظِلال القمر

وتملاني نشوة، لا تُحَد   كأَّني أصبحتُ فوقَ البشر

أوَدُّ بروحي عناقَ الوجودِ   بما فيه من أنفسٍ، أو شجر

وليلٍ يفر، وفجرٍ يكر   وغنيْمٍ، يُوشَّى رداءَ السحر

في ظل وادي الموت

نحـن نمشـي، وحولنـا هاتـه الأكـوان
تمشـــي ..، لكـــن لأيـــة غايـــه؟
نحن نشـدو مع العصافير للشـمس،
وهـــذا الربيـــع يـــنفخ نايـــهْ
نحـن نتلـو روايـة الكـون للمـوت
ولكـــن مـــاذا ختـــام الروايـــةْ
هكــذا قلــت للــرياح فقالــت،
"سلْ ضمير الوجود: كيف البدية؟"
وتغشَّى الضباب نفسي، فصاحت
في مَـلالٍ مُـرٍ: "إلى أيـن أمشـي؟"

قلت: "سيرى مع الحياة .." فقالت:

"ما جنينـا، تُرى، مـن السـيرْ أمـس؟

فتهافـت كالهشـيم – علـى الأرض

وناديـتُ: "أيـن يا قلـب رفشـي؟"

"هاتِــه، علـــني أخـــط ضـــريحي"

"في سـكون الـدجى وأدفـن نفسـي

"هاتـه فـالظلام حـولي كثيـف ..."

"وضـباب الأسـى مُنـيخ عليَّـا ..."

"وكـؤوس الغـرام أترعهـا الفجـر،"

"ولكـــن تحطَّمـــتْ في يـــديَّا ..."

"والشـباب الغريـر ولَّى إلى الماضـي"

"وخلَّـــى النحيـــبَ في شــــفتيَّا،"

"هاتـــه، يا فـــؤادُ إنّا غريبــــان،"

"نصــوغ الحيــاة فنَّــا شــجيًّا ..."

"قـد رقصـنا مـع الحيـاة طـويلاً ..."

"وشـدونْا مـع الشـباب سـنينا ..."

"وعَــدونْا مــع الليــالي حُفــاةً ..."

"في شِـعاب الحيـاة حـتى دمِينـا ..."

"وأكلنــا الــترابَ حــتّى مللنــا ..."

"وشـربنا الـدموع، حـتى روِينـا ..."

"ونثرنا الأحلامَ والحبّ والآلامَ ..."

"واليأسَ، والأسى، حيث شِينا ..."

"ثم ماذا؟ هذا أنا: صرتُ في الدنيا"

"بعيـــداً عـــن لهوهـــا وغِناهـــا"

"في ظــلام الفنــاء، أدفــن أيّامــي،"

"ولا أســـتطيع حـــتى بكاهـــا؟"

"وزهــورُ الحيــاة تهــوي، بصَــمتٍ"

"مُحْــزنٍ، مُضــجرٍ، علــى قــدميَّا،"

"جّفَّ سحر الحياة، يا قلبيّ الباكي،"

فهيَّـا، نجـرب المـوت ...، هيَّـا ..!"

من أغاني الرعاة

حل الشاعر صيفاً بعين درهم "من الشمال التونسي" مستشفياً. وهناك فوق الطبيعة العذراء الساحرة والغابات الملتفة الهائلة، والجبال الشم المجللة بالسنديان قضى عهداً شعرياً، وادعاً، خالصاً للشعر، والسحر والأحلام. وفي القصيد التالي صورة صغيرة من صور الحياة بين تلك الجبال، والأدوية والغابات[٢].

أقبل الصُّبْحُ يغني للحياةِ الناعسةْ

والرُّبى تحلُم في ظل الغصونْ المائسةْ

والصَّبا تُرقص أوراق الزهور اليابسةْ

وتَهادَي النُّورُ في تلك الفِجاج الدامسةْ

أقبَلَ الصبحُ جميلاً، يملأُ الأفقَ بهاهْ

فتمطّي الزهرُ، والطيْرُ وأمواجُ المياهْ

(٢) من الطبعة التونسية ١٩٩٧.

قــد أفــاقَ العــالمُ الحــيُّ، وغــنَّى للحيــاةْ

فـــأفيقي يا خِـــرافي، وهلّمـــي يا شِـــياهْ

واتبعيـــني يا شِـــياهي، بـــين أســـراب الطيـــورْ

وامـــلأ الـــوادي ثُغـــاءً، ومِراحـــا وحبـــورْ

واسمعي همس السـواقي، وانشـقي عطرَ الزهـورْ

وانظـري الـوادي، يغشَّـيه الضـبابُ المسـتنيرْ

واقطفـي مـن كـل الأرض، ومَرعاهـا الجديـدْ

واسمعـي شـبَّابتي تشـدو، بمعسـول النشـيدْ

نَغَــمٌ يَصْــعَدُ مِــنْ قلــبي، كأنفــاسِ الــورودْ

ثم يَسْــمُو طـائراً، كالبلبـل الشـادي السـعيدْ

وإذا جئنْـــا إلى الغـــاب، وغَطَّـــانا الشـــجرْ

فـاقطفي مـا شـئت مـن عُشْـبٍ، وزَهْـرٍ وثَمَـرْ

أرَضَـعَتْهُ الشّـمْسُ بالضـوءِ، وغَـذّاهُ القَمَـرْ

وارتَـوَى مـن قَطَـراتِ الطَّـلِّ في وَقْـتَ السَّـحر

وامْرَحِي ما شئت في الوديان، أو فوقَ التلالْ

واربضـي في ظلها الـوارف، إن خِفتِ الكـلالْ

وامْضغي الأعشابَ، والأفكار في صمت الظلالْ

واسمعـي الـريخ تُغَّـني، في شمـاريخ الجبَـال

إن في الغـاب أزاهـيراً، وأعشـاباً عِـذاب

ينُشِـدُ النّخـلُ حواليْهـا، أهازيجـاً طـرابْ

لم تُـدَنسَ عِطرَهـا الطـاهرُ أنفـاسُ الـذئابْ

لا، ولا طَافَ بها الثعلبُ في بعضِ الصَّحاب!

وشـذَا حلـواً، وسِـحْراً، وسـلاماً، وظِـلالْ

ونَسـيماً سـاحِرَ الخطـوةِ، موفـورَ الـدلالْ

وغصـوناً يَـرْقُصُ النـورُ عليهـا، والجمـالْ

واخضـراراً أبـدياً، لـيس تَمْحُـوه الليـالْ

لــن تَمَلَّــي، يا خــرافي، في حمــى الغــاب الظليــلْ

فزمــانُ الغــاب طفــلٌ، لاعــبٌ، عــذبٌ جميــل

وزمــانُ النــاس شَــيْخٌ، عــابسُ الوجــه، ثقيــل

يتمشّـــى في مـــلالٍ، فـــوق هاتيـــك الســـهول

لـــكِ في الغـــابات مرعـــاكِ، ومســـعاكِ الجميـــلْ

ولَي الإنشـــادُ، والعـــزف إلى وقـــت الأصـــيل

فـإذا طالــتْ ظِـلالُ الكــلا، الغـضَّ، الضـئيل

فهلمَّـــي نرجـــع المســـعى إلى الحـــيَّ النبيـــل

الصباح الجديد

اســـــكني يا جـــــرَاح		واســـــكني يا شــــجون
مــــاتَ عهــــد النـــواح		وزمـــــان الجنـــــون
وأطـــــلَّ الصـــــباحْ		مِـــــنْ وراء القـــــرون
في فجــــاج الـــــردَّى		قــــد دفنـــــت الألَمْ
ونثـــــرتُ الــــدُّموعْ		لـــــرياح العـــــدَمْ
واتَّخـــــذتُ الحيــــاة		مِعزفــــاً للـــــنَغمْ
أتغـــــنى عليــــه في		رحــــاب الزمــــان
وأذبــــتُ الأَســــى		في جمــــال الوجـــودْ
ودحــــوت الفـــؤادْ		واحـــــةً للنشــــيد
والضـــيا والظــــلالْ		والشّـــــذَى والـــــورودْ

والهـــــوى والشـــــبابْ والمُـــــــنى والحَنـــــــانْ
اســـــكني يا جـــــراحْ وســـــكتي يا شـــــجون
مـــات عهـــدُ النـــوح وزمـــــان الجُنـــــونْ
وأطـــــلَّ الصـــــباح مـــــن وراءِ القُـــــرون
في فـــــؤادي الرحيـــــبْ معبـــــدٌ للجمـــــال
شـــــيَّدتْه الحيـــــاة بالـــــرُّؤى، والخيـــــال
فتلـــــوْتُ الصـــــلاة في خشـــــوع الظـــــلال ...
وحرقـــــت البخـــــور ... وأضـــــأتُ الشـــــموعْ ...
إن سِـــــحْرَ الحيـــــاة خالـــــدٌ لا يـــــزولْ
فعـــــلام الشـــــكاه مـــــن ظـــــلامٍ يحـــــول
ثمَّ يأتي الصـــــــــباح وتُمـــــر الفصـــــول ...؟
ســـــوف يأتي ربيـــــعْ إن تقضـــــيَّ ربيـــــع
اســـــكني يا جـــــراحُ واســـــكتي يا شـــــجونْ

مــــات عهـــدُ النـــواح وزمــــــان الجنـــــونْ
وأطــــــلَّ الصــــــباح مــــــن واءِ القـــــرون
مــــــن وراء الظــــــلامْ وهــــــــديرِ الميـــــاهْ
قــــد دعـــاني الصـــباح وربيــــــعُ الحيـــــاه
يا لــــه مــــن دُعَـــاء هـــزَّ قلـــبي صــــداه!
لَمْ يَعُــــــدْ لي بَقــــاء فــــوق هـــذي البقـــاع
الــــــودَاعَ! الــــــودَاعَ! يا جبـــــالَ الهمــــومْ
يا ضــــباب الأســـــى! يا فجـــــاج الجحـــــيم!
قــــد جــــرى زورْقـــي في الخضـــمَّ العظـــيم ...
ونشـــــرتُ القـــــلاعْ ... فـــــالودَاع! الـــــودَاع!

الفهرس